مجلة تصدر عن قسم الشؤون الفكرية والإعلام
في العتبة الكاظمية المقدسة العـــدد ٤٣-٤٤
ربيع الأول - ربيع الثاني ١٤٣٨هـ السنة الرابعة

ق والقرآن المجيد

وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ
وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ
حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ

العتبة الكاظمية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والإعلام

العدد ٤٣-٤٤ / ربيع الأول - ربيع الثاني
السنـــــة الرابعـــــة ١٤٣٨هـ

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق
الوطنية ببغداد (١٨٤٧) لسنة ٢٠١٣

زورونا
www.aljawadain.org

٦

١٠ الإمام الكاظم عليه السلام وآثاره في تفسير القرآن الكريم

٢٠ الانتظار بالنظرة القرآنية

٢٤ الصبر

٢٨ الإمام الصادق عليه السلام وأعضاء الكلام

٣٢ لغة الحوار مع الآخر في الخطاب القرآني

٣٨ دراسة المبادئ الأساسية للهجرة

رئيس التحرير
الشيخ عدي الكاظمي

سكرتير التحرير
الشيخ نجم عبد الرضا

السلامة الفكرية
الشيخ عماد الكاظمي

التدقيق اللغوي
مهدي جناح الكاظمي

التصميم والإخراج الفني
عبدالله جاسم محمد

الحقيقة الجامعة

كثيرةٌ هي الحقائق -عند الناس- التي بمرور الزمن عليها، تثبت أنها لم تكن حقيقة أبداً، بل كانت من محض الوهم والجهل، ولعلنا نعيش مع الكثير من المسلمات التي نعتبرها حقائق وقد يثبت بطلانها في القادم من الأيام، وما دامت تلك الحقائق منطلقة من الفكر البشري المحض من دون ارتباط بالمد الإلهي تبقى في مدار الثبوت وعدمه والأخذ والرد، ولعل لسائل يسأل إن كانت هذه حال ما نعيشه من حقائق وثوابت قد تنقلب في يوم ما، فأين يمكن للإنسان أن يثبت على مبدأ من المبادئ أو حقيقة يتبناها في مسيرة حياته؟

فنقول: أن معنى الحقيقة والثبوت فيها وعاصميتها من التحول أو التبدل لا يكون إلا بارتباطها بجهة صدور معصومة، لا تتبدل ولا تتحول مهما طال الزمان، وإن من أوضح تلك الجهة الصادرة منها والتي تحمل لواء العصمة هو القرآن الكريم بصفته كلام الله وعاصميته من الله عز وجل، فالقرآن الكريم هو تلك الحقيقة الجامعة والذي يحمل في طياته جنبتان رئيستان الحقيقة الأنفسية والحقيقة الآفاقية بما تحويه هاتان الجنبتان من كمالات وجودية تشمل وتعم حياة الإنسان بالكامل، ثم إن القرآن الكريم لم يكن مجموعة آراء ومفاهيم للناس أن يأخذوا بها أو يرفضوها، بل هو حقيقة مجردة بسيطة جامعة لكل الحقائق، وهو أيضاً حقيقة التجلي لله عز وجل للناس في كلامه معه، بل هو تجل أعظم، قال الإمام الصادق عليه السلام: (لقد تجلى الله لخلقه في كلامه ولكن لاً يبصرون)[1]، وقال أمير المؤمنين عليه السلام: (فتجلى لهم سبحانه في كتابهِ من غير أن يكونوا رأوه)[2].

يبقى سؤال مهم هل أن الناس أو من ألقي إليهم هذه الحقيقة، هل هم متخذون له حقيقة متجلية من الله عز وجل، أم لا زالوا يعيشون حالة العمى وعدم البصيرة كما جاء في الحديثين الشريفين؟

١- عوالي اللئالي، الإحسائي، ج٤ ص١١٦.
٢- الكافي، الكليني، ج٨ ص٣٨٧.

❖ الشيخ عدي حاتم الكاظمي

القَسَمُ بمحمد وآل محمد

محمد عبد الحسين المالكي

ورد تأويل سورة التين في العترة الطاهرة عليهم السلام، ونصَّ عليه الفريقان في بعض التفاسير، فعن محمد بن الفضيل الصيرفي قال: سألت الإمام موسى بن جعفر أبا الحسن عليه السلام عن قول الله تعالى: (وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ) قال: التين: الحسن، والزيتون: الحسين عليه السلام، فقلت له: (وَطُورِ سِينِينَ) قال: إنما هو طور سيناء، قلت: فما يعني بقوله: طور سيناء؟ قال: ذاك أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: قلت: (وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ) قال: ذاك رسول الله صلى الله عليه وآله، (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) قال: ذاك أمير المؤمنين وشيعته (فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ)[1]، وذكر ما يقرب منه العلامة في تفسير الميزان[2]، وقد أشار المفسرون إلى تفسير الآية الظاهري بأن المراد بالتين والزيتون الفاكهتان المعروفتان، أقسم الله بهما لما فيهما من الفوائد الجمَّة والخواص النافعة، وقيل: المراد بالتين: الجبل الذي عليه بيت المقدس، ولعلها إشارة لكون هذين الجبلين مَكانَي مبعثِ كثير من أنبياء الله، والمراد بـ(طور سينين) الجبل الذي كلَّم الله تعالى فيه موسى بن عمران عليه السلام ويسمَّى أيضًا طور سيناء، وأيضا فالمراد بالبلد الأمين: مكة المشرفَّة، وتسميته بالأمين إشارة إلى استجابة دعاء النبي إبراهيم عليه السلام بقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾[3]، قالوا في موضوع القسم الإلهي- وقد ورد كثيرا في القرآن- وفي مواضيع مختلفة، أنه تعالى يُقسم بأشياء كالضحى والليل وهذه الفاكهة وغير ذلك لما فيها من الفائدة ولذلك فهي لا تخلو من الأهمية، وعلى هذا الأساس فلا ريب بأن القسم بآل محمد للأئمة المعصومين عليهم السلام أشرف وأكمل من سائر الأقسام الكونية الأخرى، لأنهم محور الخليقة ومحل انعكاس الفيض الإلهي على الكائنات جميعًا، ومَن لأجلهم ولأجل محبتهم خُلق الكون وما في الوجود من موجودات، فالقسم بهم عليهم السلام، والتدليل على عظمة شأنهم ورفعة مكانتهم وفضلهم على العالمين أولى وأجدر.

١- شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، الحسكاني، ج٢، ص٤٥٣.
٢- الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي، ج٢٠، ص٣٢٢.
٣- سورة إبراهيم، الآية ٣٥، والكلام مقتبس من المصدر السابق بتصرف.

التظليل بالغمام وإنزال المنّ والسلوى

قال تعالى ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ❖ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾[1]، إنَّ سياق الآية التذكير بالنعم الإلهية التي تفضّل بها سبحانه على بني إسرائيل، والغمام: السحاب الأبيض سُمّي بذلك لأنه يغمُّ السماء أي يسترها، وهو جمعٌ مفرده غمامة[2]، وقد ذكر المفسرون ما يتعلق بالآية الشريفة (إنَّ السبب في ابتلائهم بالتيه، أنّ موسى ﷺ أمرهم بالخروج معه لقتال الجبّارين، فقالوا له: ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا، إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾[3]، فابتلاهم الله تعالى بأرض التّيه، أربعين سنة، يتيهون طول ليلهم، لا يزالون يمشون في ضجّة واحدة، ثمّ يصبحون في أماكنهم، مكثوا على ذلك أربعين سنة)[4].

ورد في معنى المن: أنه شيء كالصمغ كان يقع على الأشجار وطعمه كالشهد والعسل، ومن معانيه الأخرى الخبز المرقق، أو المراد به جميع النعم التي أتتهم مما مَنَّ الله به عليهم مما لا تعب فيه ولا نصب، وأما معنى السَّلْوى فقيل: هو السمانى، وقيل: هو طائر أبيض يشبه السمانى)[5]، وبعد أن خرجوا من مصر إلى الأرض المقدسة أصابهم حرٌّ شديد فطلبوا من النبي موسى ﷺ التظليل من الحر فأظلّهم الله بالغمام وأنزل عليهم المنَّ والسلوى فكان يسقط عليهم من وقت طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، وكلمة الإنزال هنا بمعنى الضيافة، لا بمعنى إنزال الشيء من الأعلى إلى أسفل كما يبدو، يقال: أنزلت فلانا أي أضفته[6]، فالله تعالى ينسب هذه النعم إليه فهو الذي استضاف بني إسرائيل وأنزل عليهم النعم الجزيلة، وعن الكافي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾، عن أبي الحسن الماضي (الإمام الكاظم) ﷺ قال: (إن الله أعز و أمنع من أن يَظلم أو يَنسب نفسه إلى الظلم، ولكنه خلطنا بنفسه، فجعل ظلمنا ظلمه، وولايتنا ولايته، ثم أنزل الله بذلك قرآنا على نبيه فقال: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَ لَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾، قال الراوي: قلت: هذا تنزيل؟ قال: نعم)[7]، وفي الآية الثانية تكملة لسرد النعم الإلهية التي حباها تعالى لبني إسرائيل، فقد أباح لهم دخول القرية (وهي بيت المقدس أو أريحا: وهي في حدود بيت المقدس أيضا)، وذلك بعد زوال التيه عنهم، ومعنى الرغد: السعة والكثرة في النعم وغير ذلك، ثم يُبيّن لهم سبحانه طريقة الدخول إلى القرية المقدسة والمعروف أنها باب من أبواب بيت المقدس تسمى (باب حطة)، والحطة بمعنى التوبة، فهنا يأمر الله بني إسرائيل بالدخول إلى القرية المقدسة بخضوع وإنابة وتوبة، وهناك معنى آخر يُذكر للباب وهو إرادة الأبواب الإلهية بالمعنى الأعم للكلمة ومصداقها البارز الأنبياء والأئمة المعصومون ﷺ، ويدل عليه ما رواه الفريقان عن نبينا الأعظم ﷺ: (أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها، ومن أراد العلم فليأت الباب)، فالأنبياء والأوصياء والعلماء بالله العاملون أبواب معرفة الله تعالى، و طرق الهداية إليه، ولا بد من الخضوع لهم لاستكمال النفوس الناقصة و هذا ما تقتضيه الفطرة فليس ما في هذه الآية المباركة أمراً خارجاً عن حكم الفطرة، وعن الإمام أبي جعفر الباقر ﷺ: (نحن باب حطّتكم)[8].

١- سورة البقرة، الآيتان ٥٧-٥٨.
٢- مجمع البحرين، الشيخ فخر الدين الطريحي، ج٦، ص ١٢٨.
٣- سورة المائدة، الآية ٥.
٤- الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي، ج١، ص ١٤٤.
٥- ينظر مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي، ج١، ص٢٤٣.
٦- معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ج٣، ص ٣٨١ (مادة ضيف).
٧- الكافي، الشيخ الكليني، ج١، ص٤٣٥.
٨- مواهب الرحمن في تفسير القرآن، السيد عبد الأعلى السبزواري، ج١، ص٢٥٢.

دورة حفظ القرآن الكريم في العتبة الكاظمية المقدسة

تحيي ذكرى مولد نبي الرحمة ﷺ

أشرقت السموات والأرضون فابتهجت وأضاءت سروراً وفرحاً بتشرُّف الكون بولادة خاتم الأنبياء والمرسلين، إذ أرسله الله تعالى رحمة للعالمين، وتيمناً بهذه المناسبة الكريمة أحيت طالبات دورة تحفيظ القرآن الكريم النسوية هذه المناسبة وبإشراف معلمة الدورة الست (بتول جبار)، بتلاوات عطرة لعدد من الطالبات وقراءة مراسم الزيارة والأدعية مبتهلين إلى الله تعالى أن يحفظ عراق المقدسات ومدّ مجاهدي القوات الأمنية والحشد الشعبي بالنصر المؤزر على أعداء الرسالة المحمدية السمحاء لتكون كلمة الله هي العليا، وأن يشافي الجرحى ويتغمّد شهداءنا برحمته الواسعة.

وحدة مكتبة القرآن الكريم

تنجز المرحلة الثانية من صيانة المصاحف وكتب الأدعية والزيارات

أنامل الإبداع في وحدة مكتبة القرآن الكريم ترتقي بعملها وجهودها الإيمانية المباركة المكلّلة بشذى القرآن وعبير الدعاء، فبعد أن قامت بالعناية والترميم لأعداد كثيرة من المصاحف ونسخ الأدعية والزيارات الموجودة في العتبة الكاظمية المقدسة والمحافظة عليها، والتي قد تأثّرت لطبيعة الظروف الجوية ولملامسة الأيدي المستمرة تلك الكتب ممّا عرّض بعضها للتلف بدرجات متفاوتة، واليوم تنتهي من أعمال المرحلة الثانية من صيانة تلك المجلّدات، وللتعرف على أهمّ الأعمال المنجزة تحدّث إلينا الحاج (همام عدنان) مدير وحدة مكتبة القرآن الكريم قائلاً: أخذت ورشة تجليد الكتب على عاتقها ترميم المصاحف وكتب الأدعية التي تعرض بعضها للتلف وأخرى تمزقت أغلفتها، وبعد تراكم الخبرات لخدّام مكتبة القرآن الكريم وتوفّر الإمكانات والدعم اللامحدود للمشروع من قبل الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة تمكّنا من تسخير كُلّ ما لدينا من طاقة فنية وذوقيّة وسواعد واصلت الليل بالنهار، حيث شهدت المرحلة الثانية صيانة أكثر من ثلاثة آلاف مصحف وألفي نسخة من كتاب مفاتيح الجنان وأكثر من (١٠) آلاف كتيب زيارة وبمدّة وجيزة، حيث تمّ إضافة عدد من الجماليات لتزيين هذه الكتب منها المثلث الذهبي والشريط الفاصل وتغليفها بهادة (الفايلون)، لتتميز بحلّتها الجديدة ونضارتها، وسيتمّ توزيعها على مكتبات الصحن الكاظميّ الشريف تزامنا مع الذكرى الميمونة لولادة منقذ البشرية وسيد الكائنات نبينا محمد ﷺ، واليوم إن شاء الله تعالى ننطلق بالمرحلة الثالثة والأخيرة لإكمال صيانة بقية المصاحف والكتب.

سورة العلق

القسم الاول

❖ الشيخ نجم عبد الرضا الدراجي

ذهب أغلب المفسرين أن أول ما نزل من القرآن الكريم هو الآيات الأولى من هذه السورة المباركة، وبها بدأ فصل جديد من تأريخ البشرية وانعطافة تاريخية كبيرة في حياتهم، والملاحظ أن هذه البداية كانت مقرونة بالعلم وأدواته من قراءة وقلم، مما يدل دلالة واضحة على أهمية العلم في هذا الدين والذي هو خاتم الأديان، تبدأ السورة المباركة بخطاب النبي ﷺ وأمره بالقراءة لكن لا مطلق القراءة، بل القراءة المقرونة باسم ربه ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾، والأمر بالقراءة وهي جمع الحروف والكلمات في الترتيل، لا بد له من متعلق، وبكلمة أوضح لا بد أن يعيّن ما يقرأ، وليس بعيد أن يكون المفعول لـ (أقرأ) محذوفاً يُقدر بالقرآن، وعلى ذلك يكون القرآن الكريم وقراءته هو محور الدين الإسلامي والحضارة الإسلامية بداية ومنتهى، فالبداية كانت الأمر بقراءة القرآن لكن مقرونة باسم من أسماء الله سبحانه، وهو الرب المنسوب إلى النبي ﷺ (رَبِّكَ)، والرب هو المالك الذي يربي ويدبر ما يملك ويتعهد بإصلاحه، ويعرف هذا الرب بأنه الخالق الذي يعلم بما يصلح خلقه وبذلك تكون الربوبية فرع الخالقية، ومن أعظم خلق الله وأشرفه خلق الإنسان ففيه يظهر بديع الخلق وجميل التدبير، خاصة إذا تأملنا المراحل التي يمر بها الإنسان من نطفة وهي قطرة ماء خاص، وتتحول إلى علقة وهي قطعة دم جامد تعلّق في الرحم والتي تتحول إلى مضغة وهو قطعة لحم... إلى آخر المراحل، ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ فكما خلق الإنسان من هذا الدم وحوله إلى إنسان عبر مراحل كثيرة، هو قادر على أن يجعلك تقرأ وباسمه، فالقادر هنا هو قادر هناك، ثم أمر الخاتم ﷺ بالقراءة مرة أخرى ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾، فهو ﷺ مأمور بالقراءة لنفسه أولاً وتبليغه وقراءته للناس ثانياً لذلك تكرر الأمر بالقراءة على قول، وهناك رأي آخر أن التكرار لمجرد التأكيد، فالأمر بالقراءة هو لنفسه ولغيره معاً، ووصف المولى نفسه بأنه رب الخاتم ووصفها أيضاً بـ(الْأَكْرَمُ)، وهو الذي يعلو عطاؤه كل العطاءات فهو يعطي لا عن استحقاق فلا أحد يستحق على الله شيء أولاً، وكل عطاء يصدر من غيره ينتهي إليه ثانياً، ومن عطائه الكبير تعليم الإنسان الكتابة، وهي الطريقة التي تحفظ علوم السابقين وتعلمها للمتأخرين، مما يفتح الباب لتكامل الأجيال باعتبار أن كل جيل ينقل إليه علوم وفنون الأجيال السابقة عليه، فيضيف على هذا التراث الإنساني ما يبدعه هو وفي كل المجالات ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ❖ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ فلو لا هذه الأداة (القلم) وهو تعبير كنائي عن الكتابة لما وصل الإنسان في تطوره وتكامله إلى ما وصل إليه وفي كل ألوان العلوم، لكن هذه النعم وغيرها من النعم والتي تستلزم تقديم الشكر للمنعم بها، إذا اعترف الإنسان بأنها أفيضت من غيره، أما إذا اعتقد بأنه غني بنفسه غير محتاج لأحد وأن النعم غير مفضاة عليه، يصل إلى حالة الطغيان وهو تجاوز الحق وعدم الاعتراف به بسبب التكبر والتمرد على الله سبحانه، فتعود النعم الإلهية بالنسبة للذي لا ينسبها لربه ويشكرها عليه سبباً للتجاوز والتمرد ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى ❖ أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى﴾، ثم هدد القرآن وبلهجة شديدة أولئك بالموت والبعث والحساب ﴿إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى﴾، وهو سبحانه، أعلم بمن شكر النعمة ومن طغى ويعلم استحقاق كل منهما.

عيسى عليه السلام مثل آدم عليه السلام

قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[1]

تحدث القرآن الكريم كثيراً عن قصة عيسى عليه السلام من ولادته إلى دعوته إلى توفيه ورفعه إلى السماء، وأهم النقاط التي تمس عليها القرآن الكريم هي منزلة العبودية لله، والنبوة والرسالة، بل هو من الخمسة أولي العزم من الرسل، مصدقاً لمن سبقه من الأنبياء ومبشّراً بخاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله، وكان كلمة الله وروحٌ منه ومن شهداء الأعمال ومصطفى ومجتبى وصالح ومبارك وزكيّ وآية للناس وغير ذلك من المقامات العالية، فهذا الموقف القرآني يعتبر وسط بين موقفين متطرفين.

الأول: موقف اليهود الذي أنكروا خلق عيسى من غير أب فاتهموا أمه الطاهرة بالزنا.

الثاني: موقف النصارى الذي غالوا فيه ومن نفس المبدأ (الولادة من غير أب) فزعموا أنه ابن الله، ولن تفرقوا بعد ذلك إلى عدة فرق فمنهم من يقول ثالث ثلاثة، ومنهم من يدعي ألوهيته وغير ذلك مما لا يخرج عن دائرة الغلو والقول الباطل والعقيدة غير الصحيحة، وكان منطلقهم في كل ذلك هو الولادة الإعجازية للسيد المسيح عليه السلام، وقد دعا القرآن الكريم النصارى إلى المباهلة بين جانب التوحيد وجانب التثليث ليحسم الله سبحانه الأمر ويعذب الكاذب، لكن المباهلة جاءت بعد إقامة الحجة العقلية على بطلان دعواهم، فكان الأمر يمر بمرحلتين الأولى إقامة البرهان الذي يقنع به الطرف الآخر لو كان منصفاً ولم يكن معانداً مكابراً، ولن كان لا يستجيب للبرهان الواضح يلجأ صاحب الرسالة صلى الله عليه وآله وحملتها عليه السلام إلى الأسلوب الثاني وهو المباهلة، وهذا ما حدث لوفد نصارى نجران، وما يهمنا الآن هو البرهان العقلي الذي أقيم لدفع ألوهية المسيح عليه السلام والذي يكون ملزماً للنصارى لو لا الإصرار على الباطل، والآية - وهي برهان عقلي- حجة حتى على من لا يؤمن بسماوية القرآن وأنه من عند الله، والآية تحمل على حجتين، كل واحدة منها كافية لرد مزاعم النصارى وهي:

الأولى: إن الله- وهو الخالق- يعلم خلقه، ومن خلقه السيد المسيح عليه السلام ومن كان مخلوقاً لا يستحق العبادة.

الثانية: إن خلق المسيح عليه السلام لا يزيد على خلق آدم عليه السلام بل العكس هو الصحيح، لأن المسيح مخلوق بلا أب، بينما آدم مخلوق بلا أب وبلا أم، وهو لا يستحق أن يكون رباً! لذلك فالمسيح عليه السلام لا يستحقها من باب أولى، وبكلمة أخرى أن الالتزام بألوهية المسيح عليه السلام لأنه وُلد من غير أب يستلزم الالتزام بألوهية آدم عليه السلام بالأولوية القطعية، والخصم لا يلتزم بذلك فتكون دعواهم باطلة.

ويكون خلق المسيح بلا أب (وهي حالة غريبة غير معتادة) من الإعجاز الإلهي ومن القدرة الإلهية التي لا يحدها شيء فهو قادر على خلق إنسان بلا والدين كآدم، وقادر على خلق إنسان بلا أم كالمسيح عليه السلام، وقادر على خلق الإنسان من ذكر وأنثى كسائر الناس، فالقادر الذي لا حد لقدرته الواسعة بل إرادته في كلمة (كُن) وقد فسر أمير المؤمنين عليه السلام ذلك بقوله: (يقول لمن أراد كونه كن فيكون لا بصوت يقرع ولا بنداء يسمع وإنما كلامه سبحانه فعل منه أنشأه ومثله)[2].

١- سورة آل عمران، الآية ٥٩.

٢- شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني ٤/١٤٨.

الإمام الكاظم عليه السلام
وآثاره في تفسير القرآن الكريم

الحلقة ٦

❖ الشيخ الدكتور عماد الكاظمي

تحدثنا في الحلقة السابقة عن بيان ما يتعلق بآية التوجه إلى القبلة وصلاة ركعتي الطواف في روايات الإمام الكاظم عليه السلام التفسيرية[1]، ونتحدث في هذه الصفحات القرآنية عن آية مباركة حول تحريم الخمر والميسر، مع بيان ما يتعلق بهما.

- الآية الثامنة/ قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾[2].

❖ عن علي بن يقطين[3] قال: (سأل المهدي[4] أبا الحسن عليه السلام عن الخمر هل هي محرمة في كتاب الله عز وجل، فإنَّ الناس إنّما يعرفون النهي عنها ولا يعرفون التحريم لها، فقال له أبو الحسن عليه السلام: بل هي محرمة في كتاب الله عز وجل يا أمير المؤمنين، فقال له: في أي موضع هي محرمة في كتاب الله جل اسمه يا أبا الحسن، فقال: قول الله عز وجل: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾[5].... وأما الإثم فإنها الخمرة بعينها، وقد قال الله عز وجل وفي موضع آخر: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ فأما الإثم في كتاب الله فهي الخمرة والميسر، وإثمهما أكبر كما قال الله تعالى، قال: فقال المهدي: يا علي بن يقطين هذه والله فتوى هاشمية، قال: قلت له: صدقت والله يا أمير المؤمنين الحمد لله الذي لم يخرج هذا العلم منكم أهل البيت، قال: فو الله ما صبر المهدي أنْ قال لي: صدقت يا رافضي))[6].

إنَّ الرواية التفسيرية الشريفة تبين حكمًا شرعيًّا من أحكام الشريعة المقدسة المتعلق بحرمة شرب الخمر، وهناك روايات أخرى عن الأئمة عليهم السلام تبين ما يتعلق بهذه المسألة[7].

إنَّ الإمام عليه السلام في الرواية الشريفة قد فسَّر الإثم بالخمر من خلال منهج تفسير القرآن بالقرآن، وهو من إحدى طرق التفسير بالمأثور، وهي طريقة مهمة جدًّا في فهم النص القرآني من خلال الرجوع إلى نصوص أخرى في ذلك، وهذا ما نراه ظاهرًا في العلاقة بين الآيتين الشريفتين اللتين آستند إليهما في بيان حرمة شرب الخمر، وقال «العلامة المجلسي» (ت١١١٠هـ/١٦٩٨م): ((وحاصل الاستدلال أنَّه تعالى حَكَمَ في تلك الآية بكون ما يوجب الإثم محرمًا، وحَكَمَ في الآية الأخرى بكون الخمر والميسر مما يوجب الإثم، فثبت بمقتضاهما تحريمهما، فنقول: الخمرُ مما يوجبُ الإثم، وكُلُّ ما يوجبُ الإثمَ فهو مُحَرَّمٌ، فالخمرُ مُحَرَّمٌ))[8].

وقد ذكر المفسرون ما يتعلق بهذه الآية الشريفة بتفصيل، ونذكر من ذلك:

١- ذكر «الشيخ الطوسي» (ت٤٦٠هـ/١٠٦٨م) بعد بيانه للأقوال الواردة في الآية الشريفة رأيًا يؤيد ما تقدم في الرواية الشريفة: ((وقال الحسن وغيره: هذه الآية تدل على تحريم الخمر؛ لأنه ذكر أنَّ فيها إثمًا، وقد حرَّمَ الله الإثم بقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ على أنه قد وَصفها بأنَّ فيها إثمًا كبيرًا، والكبير يحرم بلا خلاف))[9].

إنَّ القول الذي ذكره الشيخ الطوسي في الحرمة يحتاج إلى مناقشة وبيان، أما المناقشة فهي تتعلق بمقياس الإثم من حيث الكثرة والقلة، فالقول المذكور قد أكَّد على أنَّ من أسباب التحريم هي الكثرة الواردة في الآية المباركة: ﴿قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ لذا قال الحسن: (على أنه قد وصفها بأنَّ فيها إثمًا كبيرًا، والكبير يحرم بلا خلاف)، وهذا القول كما أظنُّ لا يمكن قبوله؛ لأنَّ التحريم قد تُذكر علته أو لا تُذكر، فليس الكثرة والقلة سببًا، وهذا ما نراه واضح الدلالة في التحريم مطلقًا من غير النظر إلى نسبته في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ حيث حرم أمورًا ثلاثة: ١- الفواحش الظاهرة والباطنة مطلقًا. ٢- الإثم. ٣- البغي بغير الحق.

٢- قال «الزمخشري» (ت٥٣٨هـ/١١٤٣م) في بيان ما يتعلق بتشريع تحريم الخمر عند تفسيره للآية المباركة: ((نزلت في الخمر أربع آيات نزلت بمكة ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا﴾[10] فكان المسلمون يشربونها وهي لهم حلال، ثم إنَّ عمرَ ومعاذًا ونفرًا من الصحابة قالوا يا رسول الله أفْتِنا في الخمر فإنها مذهبة للعقل مسلبة للمال، فنزلت: ﴿فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ فشربها قوم وتركها آخرون، ثم دعا عبد الرحمن بن عوف ناسًا منهم فشربوا وسكروا فأمَّ بعضهم فقرأ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾، فنزلت: ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى﴾ فقلَّ مَنْ يشربها، ثم دعا عتبان بن مالك قومًا فيهم سعد بن أبي وقاص فلما سكروا افتخروا وتناشدوا حتى أنشد سعد شعرًا فيه هجاء الأنصار فضربه أنصاري بلحى بعير فشجه موضحة، فشكا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال عمر: اللهمَّ بَيِّن لنا في الخمر بيانًا شافيًا، فنزلت: ﴿إِنَّمَا

١- كان الحديث في بيان قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ البقرة/ ١١٥ وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ البقرة/ ١٢٥.

٢- سورة البقرة، الآية ٢١٩.

٣- أبو الحسن علي بن يقطين بن موسى البغدادي، كوفي الأصل، ولد عام ١٢٤هـ، ثقة جليل القدر، له منزلة عظيمة عند الإمام الكاظم عليه السلام وقد دعا له بالخير، وله روايات متعددة عنه، مات عام ١٨٢هـ ببغداد. ينظر: السيد الخوئي: معجم رجال الحديث ١٣/ ٢٤٢-٢٤٣.

٤- محمد بن أبي جعفر المنصور تولى الحكم بعد وفاة أبيه سنة ١٥٨هـ، وقد عُرف باللهو واللعب والإسراف بالأموال على شهواته ولذاته، وقد ورث من أبيه عداءه لأهل البيت عليهم السلام، فقام بأذاهم بطرق متعددة، ومنها آعتقاله للإمام الكاظم عليه السلام، مات سنة ١٦٩هـ. ينظر: السيوطي: جلال الدين: تاريخ الخلفاء ٢٩٦-٣٠٤، القرشي، باقر شريف: حياة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام ١/ ٣٢٥-٤٥٤.

٥- سورة الأعراف، الآية٣٣.

٦- الشيخ الكليني، الكافي ٦/ ٤٠٦ باب (تحريم الخمر في الكتاب) الحديث ١.

٧- ورد في ذلك رواية في الموضوع نفسه، المصدر نفسه ٦/ ٤٠٧ باب (إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله حرم كل مسكر قليله وكثيره).

٨- محمد باقر: مرآة العقول في شرح أخبار الرسول ٢٢/ ٢٦٤.

٩- محمد بن الحسن: التبيان في تفسير القرآن ٢/ ٢١٣.

١٠- سورة النحل: الآية ٦٧.

الخَمْرُ وَالمَيْسِرُ﴾ إلى قوله: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنتَهُونَ﴾[11]، فقال: آنتهينا يا ربِّ))[12].

وقد ناقش السيد «الطباطبائي» الآية الشريفة وآستعرض رواية الإمام الكاظم عليه السلام في آستدلالها على حرمة الخمر، وأهم المضار الطبية، والخلقية، والأخلاقية، التي لها أثر على سلوك الإنسان، وقال بعد ذلك: ((ومن جملة تلك العادات الشائعة السيئة شرب الخمر، فقد أخذ في تحريمه بالتدريج على ما يعطيه التدبر في الآيات المربوطة به، فقد نزلت أربع مرات: إحداها: قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾، والآية مكية حَرَّم فيها الإثم صريحًا، وفي الخمر إثم غير أنه لم يبيِّن أنَّ الإثم ما هو، وأنَّ في الخمر إثمًا كبيرًا، ولعل ذلك ....))[13].

ولـ «الفخر الرازي» (ت٦٠٦هـ/١٢٠٩م) تفصيل في الآية الشريفة من جهات متعددة تتعلق بعدد مرات نزول الآيات المتعلقة بالخمر، وبيان تعريفه وحقيقته، وبيان أدلة التحريم، وهل أنَّ الميسر آسم لقمار معيَّن وغير ذلك مما يتعلق بالآية[14].

ويعد ذكر ما تقدم من أقوال المفسرين نذكر في المقام مسألتين، تتعلق الأولى بتعريف الخمر والميسر اللذين تعرضت الآية الشريفة لتحريمهما، والآخر ما يتعلق بكون الآية المباركة من آيات الأحكام، وما أفاده الفقهاء منها.

أولاً: تعريف الخمر والميسر ومصاديقهما:

إنَّ ما يتعلق بالتعريف اللغوي قد ذكره المفسرون في تفاسيرهما من خلال بيان ما يتعلق بالآية المباركة، مع بيان حقيقتهما ومصاديقهما، ونحن نذكر في هذه السطور بعض تلك الأقوال:

❖ قال «الطبري»(ت٣١٠هـ/٩٩٢م): ((والخمر كُلُّ شرابٍ خَمَّرَ العقل فستره وغطى عليه. وهو من قول القائل: خَمَرْتُ الإناءَ إذا غطيته، وخَمِرَ الرجل إذا دخل في الخَمَر. ويقال: هو في خُمار الناس وغُمارهم، يراد به دخل في غُرْض الناس، وما خامر العقل من داء وسكر فخالطه وغَمَره فهو خمر، ومن ذلك أيضًا خِمار المرأة؛ وذلك لأنها تستر به رأسها فتغطيه، ومنه يقال: هو يمشي لك الخمر أي مستخفيًا. وأما الميسر فإنها المفعل من قول القائل: يسَرَ لي هذا الأمر، إذا وجب لي فهو يَيْسِر لي يَسَرًا وَميسِرًا، والياسر الواجب بقداح وَجب ذلك، ثم قيل للمقامر: ياسرٌ ويَسَر، ويعني بالياسر: المقامر. وقيل للقمار ميسر. وعن طاوس وعطاء قالا: كُلُّ قمار فهو من الميسر، حتى لعب الصبيان بالكعاب والجوز))[15].

❖ قال «الشيخ الطبرسي» (ت٥٤٨هـ/١١٥٣م): ((الخمر أصله الستر، والخمر ما واراكَ من الشجر وغيره، ومنه الخمار للمقنعة، ودخل في خمار الناس أي في الكثير الذي يستتر فيهم، ويقال: خامره الداء إذا خالطه. وفي الحديث كان النبي يسجد على الخمرة وهي السجادة الصغيرة من الحصير، سُمِّيت بذلك لأنها تستر الوجه عن الأرض، والميسر القمار، آشتق من اليسر وهو وجوب الشيء لصاحبه من قولك: يَسَّرْ لي هذا الشيء ييسر يسرًا وميسرًا إذا وجب لك، والياسر الواجب بقداح وجب لك أو غيره، وقيل للمقامر ياسر ويسر. والخمر كُلُّ شراب مسكر مخالط للعقل مغط عليه، وما أسكر كثيره فقليله خمر، هذا هو الظاهر في روايات أصحابنا، والميسر هو القمار كله عن آبن عباس وآبن مسعود ومجاهد وقتادة والحسن، وهو المروي عن أئمتنا حتى قالوا: إنَّ لعب الصبيان بالجوز هو القمار))[16].

ثانيًا: آيات الأحكام في الآية المباركة:

لقد آعتمد العلماء الآية المباركة لاستنباط حكم فقهي يتعلق بالخمر كطبيعته، وحكمه من حيث الحرمة والنجاسة وغيرهما، ونستعرض بعض ما يتعلق بذلك إيجازًا؛ للإفادة من ذلك في التعامل مع الآيات المباركة التي تضمنت أحكامًا شرعية.

❖ قال «الشيخ قطب الدين الراوندي» (ت٥٧٣هـ/١١٧٧م): ((قال أكثر المفسرين: الخمر عصير العنب إذا آشتدَّ، وقال جمهور أهل المدينة: كلما أسكر كثيره فهو خمر، وهو الظاهر في رواياتنا، وكلما أسكر على آختلاف أنواعه حرام قليله وكثيره لاشتراكهما في المعنى، إذ يجري عليهما أجمع جميع أحكام الخمر))[17]. وهنا قد ذكر الشيخ الراوندي العنب إما لخصوصه به، أو لاشتهار صنعه منه، وإلا فالخمر يصنع من غير العنب كذلك، وقد حدَّد أنَّ علته في التحريم، وهذا يجري في الكثير والقليل منه إذا آشتمل على تلك العلة.

❖ قال «المقداد السيوري» (ت٨٢٦هـ/١٤٢٣م): ((الخمر في الأصل مصدر خمره إذا ستره، سُمِّي به عصير العنب والتمر إذا غلا وآشتدَّ؛ لأنه يخمر العقل أي يستره، كما سُمِّي مسكرًا؛ لأنه يسكره أي يحجزه وهو حرام إجماعًا مطلقًا، وكذا كل ما أسكر في الجملة وإنْ لم يسكر قليله عندنا، ثم آعلم أنَّ مذهب الإمامية أنَّ الخمر محرمة في جميع الشرائع وما أبيحت في شريعة قط، وكذا كل مسكر، وأوردوا في ذلك أخبارًا عن أئمتهم عليهم السلام، وأما المفسرون فقالوا: نزل في الخمر أربع آيات، ثم إنَّ السيد المرتضى وجماعة آستدلوا على تحريم الخمر وكل مسكر بآية خامسة .... وأما ما ذكره المفسرون والفقهاء من كونها كانت قبل حلالاً فباطل بإجماعنا، والنقل الصحيح عن أئمتنا عليهم السلام وقوله صلى الله عليه وآله: «كُلُّ مُسْكِرٍ حَرامٌ»، وأنه صلى الله عليه وآله لعن الخمر، وعاصرها، ومعتصرها، وبائعها، ومشتريها، وساقيها، وآكل ثمنها، وحاملها، والمحمولة إليه، وشاربها، وقال صلى الله عليه وآله: «شاربُ الخمرِ كعابدِ الوثنِ» وغير ذلك من الأخبار، والمَيْسِر كالموعِد سُمِّيَ به القمار؛ لأنه أخذ من مال الغير بيسرٍ أو سلب يساره، وهي محرمة [الخمر والميسر] جدًّا))[18].

إنَّ في كلامه (قدس سره) تفصيل دقيق، وبيان جلي، فيما يتعلق بحرمة الخمر، فقد بيَّنَ تعريفها اللغوي والاصطلاحي، ثم عرَّج على بيان حكمها في الشريعة المقدسة، وما يتعلق بسبب نزول بعض الآيات المتعلقة بالموضوع وآختلاف الصحابة فيها، بل في الشرائع السماوية السابقة، وفصَّل القول في الآيات الخمس التي يُستدلُّ بها على التحريم، بل رَدَّ بإجمال على القائلين إنَّ الله تعالى حَرَّمها بعد أنْ كانت جائزة، وفي ذلك قوة بيان، وحجة وبرهان.

هذا ما حاولت بيانه مما يتعلق بهذه الرواية التفسيرية الشريفة للإمام الكاظم عليه السلام، والتي ذكرها كثير من العلماء والمفسرين، وآستشهدوا بها على تحريم الخمر، وفي ذلك دلالة واضحة جلية على وحدة منهج الثقلين (القرآن والعترة) في تبليغ أحكام الشريعة الإسلامية، وبيانها للناس، فضلاً عن الحفاظ عليها من التحريف والتزييف، فنسأله تعالى التوفيق بالتمسك بهما، وإلى لقاء قادم مع روايات تفسيرية أخرى.

١١- قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ❖ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاَةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ المائدة: ٩٠-٩١.

١٢- محمود بن عمر: تفسير الكشاف ١/ ٢٨٧-٢٨٨.

١٣- محمد حسين: الميزان في تفسير القرآن ٢/ ١٩٢-١٩٣.

١٤- ينظر: محمد بن عمر: التفسير الكبير ٦/ ٣٩٥-٤٠٠.

١٥- محمد بن جرير: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٤/ ٣٢٠-٣٢٢.

١٦- الفضل بن الحسن: مجمع البيان في تفسير القرآن ٢/ ٥٥٦-٥٥٧.

١٧- سعيد بن هبة الله: فقه القرآن ٢/ ٢٧٦.

١٨- للتفصيل ينظر: كنز العرفان في فقه القرآن: ٦١٨-٦٢١.

تسجيل البيانات في المنظور القرآني ج٢

بقلم: مهران قدري- مرشد مرعي- محمد فوزان نور الدين-
كلية تقنية المعلومات والاتصالات في الجامعة الإسلامية الدولية- ماليزيا

ترجمة: رياض عبد الغني الحسن

بدأ الكتّاب في الجزء الأول من بحثهم باستعراض مفهوم قاعدة البيانات في عالمنا المعاصر وربطه بالمفاهيم القرآنية لقاعدة البيانات وعقد المقارنة بينهما، وهم يواصلون في الجزء الثاني البحث في ذلك المجال والتوسع فيه

٦. ظاهرة «البيانات الضخمة» ومنظورها القرآني:

يجري في يومنا الحاضر النقاش بشكل واسع في ما يصطلح عليه «البيانات الضخمة»، وأصبحت الصناعات الكبرى تدرك أكثر وأكثر قيمة البيانات الضخمة، وتتصدر عمالقة الانترنيت مثل غوغل وأمزون وغيرها في جمع البيانات الضخمة هذه والاستفادة منها، وأخذ جمع البيانات يجري على مستوى لم يسبق له مثيل، فالقرارات التي كانت تبنى سابقاً على التخمين أو على نماذج تبتنى بدقة متناهية، يمكن بناؤها الآن على البيانات نفسها، وصار تحليل البيانات اليوم يوجّه كل منحى من مناحي مجتمعنا المعاصر تقريباً، وبضمن ذلك الخدمات المتنقلة والبيع المفرد والتصنيع والخدمات المالية وعلوم الحياة والعلوم الطبيعية[1].

وأصبحت أعداد الشركات التي تستثمر في مجال البيانات الضخمة في تزايد، إذ تقوم شركات مثل أمزون باستخدام البيانات الضخمة لتقديم خدمة أفضل لزبائنها، فإذا اشترى زبون منتوجاً معيناً من أمزون، يبدأ الموقع الإلكتروني باقتراح منتوجات أخرى قد يرغب الزبون في شرائها، ويتحقق هذا في الواقع، بتحليل سلوكيات التسوق لكل الزبائن الذين اشتروا ذلك المنتوج ومن ثم تحليل المنتوجات الأخرى التي اشتروها أيضاً أثناء جلسة تسوق معينة، إن القدرة على استخلاص معلومات قيمة من كميات هائلة من البيانات والتنبؤ بالاتجاهات المستقبلية هي غيض من فيض من المزايا المستفادة من استخدام البيانات الضخمة.

وفي ضوء ما ذكره مؤلفو كتاب «التحديات والفرص باستخدام البيانات الضخمة» Challenges andOpportunities with Big Data»، فقد أثبتت البيانات الضخمة فائدتها الكبرى في مجالات أخرى مثل الرعاية الصحية والأعمال التجارية والتخطيط الحضري والنمذجة البيئية وأنظمة النقل الذكي والعلوم الاجتماعية الحسابية، ونشرت جامعة كليفورنيا تقريراً قدرت فيه ما عالجته خوادم الشركات بـ(٩,٥٧) زيتا بايت من البيانات على نطاق العالم في عام ٢٠٠٨، وهو ما يعادل ٦ غيغا بايت من البيانات عن كل شخص يومياً في العالم، ويرى التقرير نفسه أنه إذا أشركت جميع شركات العالم بهذه المعلومات، فسيكون نصيب المعالجة عن كل فرد ما معدله ٦٣ تيرا بايت من البيانات، وهو ما يكفي لملء أكثر من ١٣٠٠٠ قرص دي في دي[2]، ونحن نرى أن هذا التقرير يعطي صورة واضحة عن الحجم الهائل من البيانات الموجودة بانتظار من يستثمرها.

مع ذلك، هناك تحديات عديدة تواجه المؤسسات التي تحاول الاستفادة من البيانات الضخمة، فعملية استخلاص معلومات مفيدة من كم هائل من البيانات مهمة ليست بالسهلة، فأدوات تحليل البيانات وأساليبها التي بحوزتنا اليوم لم تبلغ الدرجة المثلى التي تمكننا من توليد معلومات تفيد معنى معيناً من بيانات بهذا

1-D. Agarwal, P. Bernstein, et al., Challenges and Opportunities with Big Data, 2012.

2-V. Gopalkrishnan, D. Steier, H Lewis, J. Guszcza, Big Data, Big Business: Bridging the Gap, 2012

الحجم الجبار، التحدي الأكبر الأول سيكون بكل وضوح الحجم الكبير الصرف للبيانات نفسه، وفي هذا المقدار الضخم من البيانات يكمن الفرق في أنواع البيانات التي تستخدمها المؤسسات في خزن بياناتها، وما تمثله هذه البيانات إضافة الى تفسيراتها الدلالية، وهناك مشاكل أخرى ترتبط بالبيانات الضخمة منها مواضيع الخصوصية والترخيص في استخدام البيانات نفسها، وكما بيّنا سابقاً هناك الكثير من الفرص التي يمكن أن يقدمها الاستثمار السليم للبيانات الضخمة.

لكن هناك الكثير من التحديات التي تعيقها عن بلوغ الاستفادة من هذه البيانات، ومعظمها مشاكل فنية. فظاهرة البيانات الضخمة ما تزال جديدة نسبياً وقد بدأت المؤسسات الآن بالعمل عليها والنظر إليها على أنها موجود ستراتيجي، والغرض الرئيس من استخدام البيانات الضخمة هو استخلاص معلومات قيمة ودقيقة وذات معنى منها، إلا أن التكنولوجيا الراهنة غير قادرة على التوظيف التام لهذه الكمية الكبيرة من البيانات لتحقيق الأغراض المذكورة آنفاً، فإذا أخذنا البيانات الضخمة في السياق القرآني، فسيشمل ذلك بيانات عن كل ما في الوجود مستغرقاً الكون بما فيه.

إن حجم البيانات الضخمة الموجودة بصيغة بيانات رقمية في عالمنا المعاصر لا يمكنها أن تشكل حتى جزيئة صغيرة من «البيانات الضخمة» التي يتحدث عنها القرآن الكريم، وإحدى الآيات التي يمكن ربطها بالبيانات الضخمة هي: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾[3]. في هذه الآية الكريمة، يخبرنا الله تعالى أنه هو مالك العلم، فعلمه محيط بكل ما هو موجود، المرئي منه وغير المرئي. وهذا يعد (بيانات ضخمة) على المستوى الإلهي، غير أن الله سبحانه لا تقتصر معرفته على (البيانات الضخمة) وحسب، بل إنه يقول إنه قادر على استخلاص معلومات ذات مغزى من هذا الكم غير المحدود من البيانات.

إن الآية آنفة الذكر تمضي لتقول: (وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا)، فتبين لنا أن الله قادر على أن يستخلص معلومات محددة وذات معنى حتى عن ورقة واحدة من هذه (البيانات الضخمة)، فإذا تأملنا لدقيقة واحدة في كم البيانات التي يضطّم عليها الوجود ليشمل الكون بأسره، ثم استخلاص معلومة صغيرة محددة، أدركنا عندئذ عظمة الله سبحانه وجليل سلطانه، ثم تبين الآية الشريفة المزيد فتقول: ﴿وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾[4]. فيبين تعالى أن كل ما هو موجود، مرئي أو غير مرئي، مختزن في قاعدة بيانات اسمها (اللوح المحفوظ)، وهذا يوضح بجلاء نوع هيكلية البيانات التي لا يمكن أن يستوعبها عقل بشري.

أما الآية التالية فهي توضح كيفية استعادة معلومات محددة بشكل سريع ودقيق من (البيانات الضخمة) هذه وفقاً للمنظور القرآني: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[5].

تبين الآية الكريمة هذه كيف أنه في يوم القيامة ستستعاد القيود المسجلة لكل فرد من (البيانات الضخمة) لدى الله تعالى، وتوضح مستوى دقة البيانات الخاصة بكل فرد مبينة أن الفرد في ذلك اليوم سيقول: (يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا). وهو يعني أن التفاصيل بجزئياتها الدقيقة الخاصة بمشوار الحياة لكل فرد مسجلة فيما أطلقنا عليه مجازاً (البيانات الضخمة)، بل والأهم من كل هذا أن جميع تلك البيانات قابلة للاسترداد بسرعة وبدقة متناهية وبدون أخطاء.

٧. الخاتمة:

- الإسلام دين شامل، صمد في وجه اختبارات الزمن وبقي قائماً منذ ظهوره وإلى اليوم، وهو دليل شامل للفرد ليحيا حياة طيبة على أفضل وجه ويقدم حلولا لكل عقبة يمكن أن نتخيلها على هذه البسيطة، يتحدث الإسلام عن كل مظهر من مظاهر الحياة الإنسانية ويقدم المعرفة العلمية عن الكون وكل ما فيه،

- فيما يخص تقنية المعلومات والاتصالات، يتحدث القرآن الكريم عن مواضيع عديدة تخص تلك التقنية كما نعرفها اليوم، ويتحدث عن أمن الشبكات وأمن البيانات وتسجيل البيانات واستعادتها وإدارة البيانات العامة، يبدو فعلا أن القرآن الكريم قد وضع حجر الأساس للمبادئ التي قامت عليها الأنظمة المذكورة آنفاً، هناك عشرات الشواهد القرآنية التي تتحدث عن علم الله الذي يحيط بكل شيء في الوجود بل ما وراء ذلك أيضا، والطريقة الخارقة في تسجيل كل شيء في شيء ما يشبه قاعدة بيانات مركزية وهي النموذج القرآني لـ (البيانات الضخمة) وعن قدرة الله تعالى على استعادة معلومات محددة وذات معنى من كم غير محدود من تلك البيانات.

- تواجه التكنولوجيا المعاصرة مشاكل في التعامل مع (البيانات الضخمة) التي لا تعدو كونها جزيئة تافهة في قبالة (البيانات الضخمة) التي ينص عليها القرآن، قد يكون العلماء والمسلمون منهم خاصة، بحاجة الى إلقاء نظرة فاحصة على القرآن لأنه بلا أدنى شك يحمل في طياته مفتاحاً لحل هذه المشكلة وكل مشكلة أخرى تواجهها البشرية، على العلماء المسلمين أن ينتزعوا صفحة من صفحات ما كتبه العلماء المسلمون الأوائل مثل ابن سينا وابن الهيثم وآخرين من الذين سجلوا نجاحات في منجزاتهم العلمية ليروا أنهم استرشدوا بالقرآن الكريم هادياً لهم عند إجراء بحوثهم العلمية.

٣- سورة الأنعام، الآية ٥٩.

٤- سورة الأنعام، الآية ٥٩.

٥- سورة الكهف، الآية ٤٩.

المصدر: ttp://esjournals.org/journaloftechnology/archive/vol5no9/vol5no9_3.pdf

الدكتور طه عبد الوهاب

في ضيافة ق والقرآن المجيد

حاورد: رعد عبدالله التميمي

البطاقة الشخصية:

ولد الدكتور طه محمد عبد الوهاب خبيز في جمهورية مصر العربية محافظة الغربية قرية محلة مرحوم مركز طنطا عام (١٩٦١) م، أكمل دراسته الابتدائية والمتوسطة والإعدادية في المحافظة نفسها ليمنح بعدها شهادة الدكتوراه من كلية الدراسات القرآنية جامعة الحضارة الإسلامية المفتوحة بتاريخ ٢٣ ذي القعدة ١٤٣٧هـ الموافق ٢٦ /٨/ ٢٠١٦ لبنان - بيروت، علماً أنه حصل على شهادة الدكتوراه الفخرية ثلاث مرات من أماكن متعددة.

البداية القرآنية:

التحق بالكُتّاب المشرك الذي كان يجمع بين الشيخ محمد حرقان أحد أساتذة الشيخ الحصري وحافظ جوهر في الخامسة من عمره أي في عام (١٩٦٥)م متماً حفظ القرآن الكريم على يديهما في خمس سنوات أي في عام (١٩٧٠)م، فكان يحظى باهتمام كبير من مشايخه لسرعة تلقيه مادة الحفظ، مما دعى الشيخ محمد حرقان يثني عليه بعبارة: (إن هذا الصبي سيكون له مستقبل في عالم التلاوة القرآنية) متأثراً بعمر السابعة بالقارئ الشيخ أحمد شعبان الوهيدي الذي كان يقرأ في قريته محلة مرحوم وأخذ يحاكي طريقته بتميز، على الرغم من أنه كان من أشد المعجبين بالشيخ محمد عبد العزيز حصان، وكثير من عمالقة التلاوة في مصر أمثال الشيخ مصطفى إسماعيل، والبنا، وغلوش، حيث كان يحرص على مشاهدتهم وهم يتلون كتاب الله.

الانتقال من التلاوة إلى المقامات:

بعد أن أبدع وهو يتلو القرآن الكريم بصوته أمام جمهور لا يستهان به من عشّاق القرآن الكريم في سن السابعة حاصلاً على دعم وتشجيع أبناء قريته الذين كانوا يستمتعون بأدائه وموهبته إذ وُجّهت له الدعوات في شهر رمضان الكريم فكان يتلو من المساء حتى السحر بأوقات متقطعة، وفي يوم كان يقرأ لحين وصول قارئ المحلة الشيخ الوهيدي فعندما وصل الشيخ طلب أحد الحاضرين من الذين أعمى الحسد قلبه أن يتنحى الطفل الموهبة عن المنصة فحينها رد الشيخ الوهيدي: (كيف تقول لهذه الموهبة التنحي بهذا الأسلوب)، فكانت انقلابة كبيرة بالنسبة للضيف، وعندها قرر عدم التلاوة والانتقال إلى الإنشاد الذي حصل فيه على المرتبة الأولى أربع مرات من عام (١٩٧٩ - ١٩٨٢)م، وبعد سنوات قرّر دراسة المقامات والفنون الصوتية على يد خبراء متخصصين، فكان له ما أراد بتوفيق الله (عزوجل) ليسخر هذا الفن لخدمة القرآن الكريم، فقد تخرج على يديه مئات القرّاء في مصر والعالم الإسلامي.

الإجازات القرآنية:

١- إجازة برواية حفص عن عاصم الكوفي على يد الشيخ رجب البركاوي في مصر العربية.

٢- إجازة برواية حفص عن عاصم الكوفي على يد الشيخ الدكتور نجم مطر من العراق (٢٠١٦)م.

الدورات:

١- المدينة المنورة (٢٠٠٩)م.

٢- دورة في الصوت والنغم في جمهورية اليمن الشعبية (٢٠١١)م.

٣- محاضرات للأساتذة المختصين في لبنان (٢٠١٥)م.

٤- دورات متعددة في أكاديمية أمير القرّاء في مصر.

٥- دورة الشورى العليا للقرآن في الجمهورية الإسلامية في إيران (٢٠١٥)م.

٦- دورة في مؤسسة (هايل سعيد أنعم) في تعز (٢٠١٠)م.

٧- دورات يومية في منزله لمختلف القرّاء سواء كانوا إذاعيين أو مبتدئين.

التحكيم في المسابقات:

١- حكم الصوت والنغم في مسابقة الطاروطي لسبع سنوات (٢٠١٠ - ٢٠١٦)م.

٢- حكم الصوت والنغم في المسابقة الدولية الفضائية التي تقيمها قناة الكوثر (إن للمتقين مفازا)، سبع سنوات متتالية من (٢٠١٠ - ٢٠١٦)م.

٣- حكم الصوت والنغم في مسابقة الطلبة الدولية في طهران عام (٢٠١٤)م.

٤- حكم الصوت والنغم في المسابقة الدولية، للدورة الثانية والثلاثين في طهران عام (٢٠١٥)م.

إرشادات صوتية:

إنه صاحب المقولة المعروفة في إحدى مسابقات (إن للمتقين مفازا) الفضائية عندما قرأ أحد القرّاء الشباب في المسابقة وقد بدا عليه الإسراف في المقامات فحينها قال الدكتور طه (لم نأتِ لنتسابق في مغنى ولكن أتينا نتسابق في كيفية إظهار معنى والنغمة التي لا تخدم القرآن الكريم فهو في غنىً عنها) ونظرًا لخبرة الدكتور طه عبد الوهاب في المجال الصوتي والتنغيمي الذي يهتم به قرّاء القرآن كانت هناك إشارات متعددة من لدنه وهي كالآتي:

١- عدم المبالغة في كثرة المقامات.

٢- يجب أن يعرف القارئ كيف يبدأ وكيف ينتهي في نفس المقام والدرجة.

٣- لا بد أن يطّلع على لوائح التحكيم ليعرف أهمية الدرجة.

٤- اختيار المقام والدرجة الصوتية بما يتناسب مع الآية.

٥- الاهتمام بأحكام التلاوة والوقف والابتداء لأنهما مترابطان.

كلمة حرة:

تعد مجلة (ق والقرآن المجيد) واحدة من أهم المجلات التي تتحلى بطابعها القرآني الجميل ولا شك أنها تتفرد بعمل اللقاءات الدولية مع قرّاء وأساتذة القرآن المجيد مهتمة بأخبار ونشاطات القرآنيين في العالم، وهذا ما يجعلها محط أنظار المجتمع القرآني في قبال كثير من الصحف والمجلات التي تهتم بالأمور الدنيوية بعيدة عن حلاوة ولذة كتاب الله العزيز، دعواتي لهذا الصرح المعطاء بالتوفيق والرفعة ولجميع القائمين عليها بالتوفيق والسداد.

صاحب تفسير العياشي

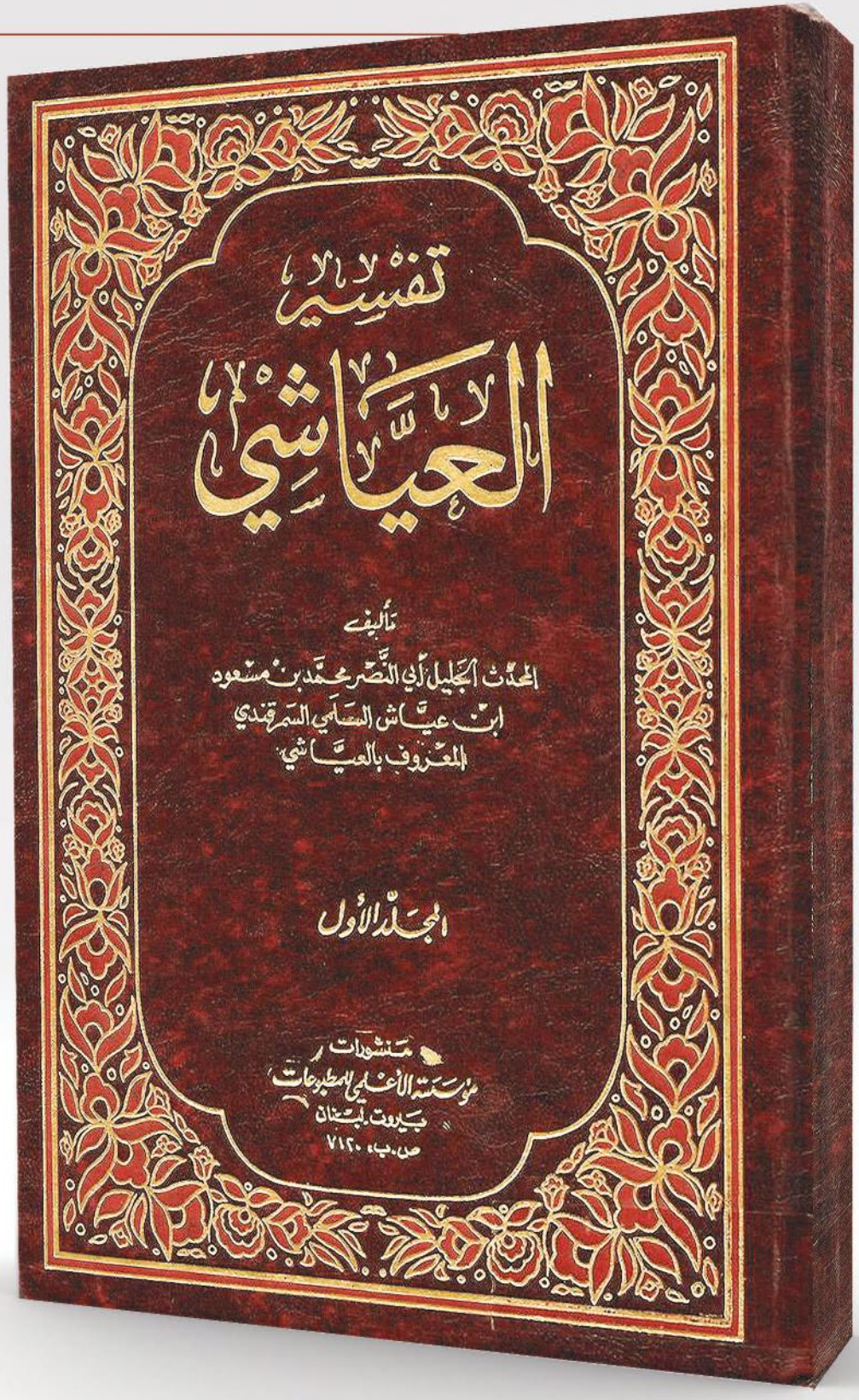

عالم كبير، ومفسر عظيم، بذل وقته وأمواله في نشر علوم أئمة الهدى، وقادة الورى عليهم السلام، كان داره مرتعا لطلبة العلم والباحثين عن شرع النبي الأمين وآله الغر الميامين عليهم السلام، فجاد يراعه بسفر تخلد قدره، وتوثق ذكره، وعرف باسمه، إنه المفسر والعالم البارع محمد بن مسعود العياشي.

❖ حيدر صباح عبد الرزاق

هو الشيخ الأجل أبو النضر محمد بن مسعود بن محمد بن عيَّاش السلمي السمرقندي، ثقة صدوق، عين من عيون هذه الطائفة وكبيرها، جليل واسع الأخبار، بصير بالرواية مضطلع بها، له كتب كثيرة تزيد على مائتي مصنف منها كتاب التفسير المعروف، سمع أصحاب علي بن الحسين بن فضّال وجماعة من شيوخ الكوفيين والبغداديين والقميين وأنفق على العلم والحديث تركة أبيه سائرها وكانت ثلاثمائة ألف دينار، وكانت داره كالمسجد بين ناسخ أو مقبل أو قارٍ أو معلق، مملوءة من الناس، وبالجملة كان رحمه الله أكثر أهل المشرق علماً وأدباً وفضلاً وفهماً ونبلاً في زمانه وكان له مجلس للخاص ومجلس للعام[1].

وذكر ابن النديم: (قيل انه من بني تميم من فقهاء الشيعة الإمامية، أوحد دهره وزمانه في غزارة العلم ولكتبه بنواحي خراسان شأن من الشأن)[2]، ثم عد كتبه البالغة ٢٠٨ كتاباً.

لم تذكر كتب الرجال سنة ولادته ولا وفاته، وذكره السيد محمد حسين الحسيني الجلالي[3] في رجال القرن الرابع في سنة ٣٢٩هـ وهي سنة وفاة الشيخ الكليني برواية النجاشي.

قال السيد حسن الصدر: عين من عيون أصحابنا المكثرين في التصنيف ..وهو في طبقة الكليني من علماء المائة الثالثة، وقال: أكثر في التصنيف والتأليف، وله ما يقرب من مائتي مصنّف، وله كتاب التفسير يعرف بتفسير العياشي في مجلدين كبيرين غير أن الموجود منه اليوم جزء واحد نصف التفسير[4].

اتفق علماء رجال الشيعة على أنه ثقة، عين، شيخ الصدوق في حديثه من مشايخ الرواية، يروي عنه أعيان المحدثين كالكشي صاحب الرجال في كتاب معرفة الناقلين أخباراً كثيرة منه[5] أسند إليه النجاشي والطوسي[6]، وعندما يتحدث النجاشي المتوفى ٤٥٠هـ عن الكشي يقول: وصحب العياشي وأخذ عنه[7].

ويذكر أن له نقداً في الرجال، حيث قال الميرزا حسين النوري الطبرسي: وأما العياشي فهو من عيون هذه الطائفة، ورئيسها، وكبيرها، جليل القدر، عظيم الشأن، واسع الرواية ونقادها، ونقاد الرجال[8]، ترجم له السيد الخوئي في معجم رجال الحديث في الجزء الأول صفحة ١٨ بالرقم ١١٧٩٥.

بعض مؤلفاته:

١. كتاب الصلاة.
٢. كتاب الطهارة.
٣. كتاب الجنائز.
٤. كتاب العالم والمتعلم.
٥. كتاب الزكاة.
٦. كتاب الأشربة.
٧. كتاب النكاح.
٨. كتاب فضائل القرآن.
٩. كتاب محنة الأوصياء.
١٠. كتاب محاسن الأخلاق.
١١. وتأليفات أخرى يزيد إلى مائتي كتاب بالنسبة إلى الفقه والحديث والأخلاق وعلوم القرآن[9].

التعريف بالتفسير:

هو تفسير بالمأثور، جمع فيه المؤلف روايات مأثورة عن النبي الأكرم ﷺ وأهل بيته الطاهرين وصحابته المنتجبين، وبلغ عدد أحاديثه ٢٧٢٢ حديثاً في التفسير ومقدماته، وهو من أقدم التفاسير، ذكر أخباراً تختص بفضل القرآن، وترك الروايات التي تخالف القرآن الكريم، كما خصص باباً في أسباب النزول والناسخ والمنسوخ والظاهر والباطن والمحكم والمتشابه، وذكر فضائل أهل البيت والأئمة عليهم السلام وما خصهم الله في كتابه والذي نزل بحقهم والتعريف بمنزلتهم، كما خصص باباً يذم فيه التفسير بالرأي.

إن أسانيد التفسير جلها مذكورة، ولكن تم اختصارها من بعض النساخ بحذف الأسانيد، حيث يقول مستنسخ الكتاب:

أولاً:

نظرت في التفسير الذي صنفه أبو النضر محمد بن مسعود بن محمد بن عياش السلمي بإسناده، ورغبت إلى هذا وطلبت من عنده سماعاً من المصنف أو غيره فلم أجد في ديارنا من كان عنده سماع أو إجازة منه، فحينئذ حذفت منه الإسناد، وكتبت الباقي على وجهه، ليكون أسهل على الكاتب والناظر فيه، فان وجدت بعد ذلك من عنده سماع أو إجازة من المصنف اتبعت الأسانيد وكتبتها على ما ذكره المصنف.

ثانياً:

إن الجزء الثاني منه صار مفقوداً، حتى أن أرباب التفاسير الروائية والمحدثين لم ينقلوا منها إلا ما في جزئه الأول الذي فسّر فيه القرآن من سورة الفاتحة إلى سورة الأنعام، كالبحراني في تفسير البرهان والحويزي في نور الثقلين والكاشاني في الصافي والمجلسي في البحار وغيرهم[10].

لقد ساهم المؤلف رحمه الله في رفد المكتبة العلمية بجهد كبير ونتاج عظيم، ينهل من تفسيره الكتاب والباحثون وحتى المفسرون يستأنسون ويستدلون به في أطروحاتهم، فهو كتاب رائع يعده العلماء في مصاف التفاسير المعتمدة، جزاه الله خير جزاء المحسنين.

١- ينظر سفينة البحار، الشيخ عباس القمي، ج٦، ص٥٨٦.
٢- فهرست ابن النديم البغدادي، ص٢٤٤.
٣- فهرس التراث، محمد حسين الحسيني الجلالي،ج١ص٢٢٥.
٤- فهرس التراث، محمد حسين الحسيني الجلالي،ج١، ص٣٦٩.
٥- ينظر تفسير العياشي، ج١، ص٥، تحقيق مؤسسة البعثة، الطبعة الأولى، قم المقدسة سنة ١٤٢١هـ.
٦- فهرست التراث، محمد حسين الحسيني الجلالي، ص٢٢٥.
٧- فهرست أسماء مصنفي الشيعة، النجاشي، ص٢٧٢.
٨- خاتمة المستدرك، الميرزا حسين النوري الطبرسي، ج٥، ص٢٠٤.
٩- كتاب الفهرست، ابن النديم البغدادي، ص٢٤٤.
١٠- ينظر تفسير العياشي، ج١، ص٢.

أضواء من قناديل
رائية الخاقاني في التجويد
ت (٣٢٥ هـ)

الحلقة ١١

د. كريم الزبيدي

(٤١) وضَمُّكَ قبلَ الواو كنْ مُشبعاً لـه
***** كما أشبَعُوا إياكَ نَعْبُدُ في اَلمَـرّ**

أعزتي رواد التجويد، نعود معكم إلى أبيات رائية الخاقاني، في موضوع حيوي وهو إشباع الحركات، إن ظاهر هذا البيت يوحي بضرورة تحويل الضمة لواو ومثلها الكسرة لياء وهذا هو التمطيط بعينه، ولكن المشافهة والتلقي تأبى ذلك، إذن فلا بد من التريث قبل فهم البيت بشكل خاطئ، ولا بد من مقدمة عن الحركات وإشباعها فأقول:

لا ترسم الحركات في اللغة العربية في بنية الكلمة، لكن الحركة إذا أشبعت أي زاد زمنها رسمت حرف مد من جنسها، وورد ذلك في اللغة العربية في الحركات جميعها ولكن سأقتصر على الواو لارتباطه بالموضوع.

ورد في «الجنى الداني في حروف المعاني» للمرادي في أنواع الواو قوله:

(ومنها واو الإشباع، وهي الزائدة للضرورة، نحو قول الشاعر:

وإنني حيث ما يثني الهوى بصري ❖ من حيث ما سلكوا أدنو فأنظورُ

أي: فأنظر. فأشبع الضمة لإقامة الوزن).

وبالطبع عزيزي القارئ لم يقع في القرآن من ذلك شيء، إذ إن ذلك من ضرورات الشعر التي لا يضطر اليها الناثر، فضلاً عن آيات الله وصياغتها المعجزة.

وليس المقصود بالإشباع السالف الذكر إشباع ما قبل الحرف المتطرف، بل اشباع حركة ما تطرف، لذا فإن الناظم حدد ضمة نعبدُ بوصلها لقوله (في المر) لان الوقف عليها لا يخلو من أحد ثلاثة أوجه وهي الاسكان المحض، أو الاشمام، أو الروم، وذلك معروف عند أئمة الفن في كيفيات الوقف على أواخر الكلم، وذلك موكول في محله.

وفي اللغة مُنتهى الشيءِ إشباعهُ ، وعند أئمة الإقراء فإنّ المتواتر المعروف أنّ أكثر الرواة والقرّاء مداً وتطويلاً هم الأزرق عن ورش، والنقاش عن ابن ذكوان وحمزة، وعرف عنهم مد الطول أو الإشباع، ويستخدم مصطلح الإشباع عند المجودين بحسب الحكم المستخدم فيه يستخدم في هاءالكناية بمعنى المد حركتين.

١- ويستخدم في باب المد بمعنى مرتبة الطول كمرتبة الأزرق عن ورش ومرتبة حمزة.

٢- ويستخدم في الإمالة بمعنى النهي عن إيصالها للكسر .

قال ابن الجزري في النشر: (والإمالة الشديدة يجتنب معها القلب الخالص والإشباع المبالغ فيه (والإمالة المتوسطة بين الفتح المتوسط وبين الإمالة الشديدة).

وقد عُرّف التجويد من قبل بأنه: (إعطاء كل حرف حقه ومستحقه)، والحق إن التعريف يجب أن يكون: إعطاء كل حرف أو حركة حقهما ومستحقهما، أو إعطاء كل (صوت)، ليشمل بذلك الحروف والحركات، فالحرف عند الأصواتيين (علماء الأصوات المحدثين) هو الصوت اللغوي، ونحن نعلم جيدًا أن الحركات بتمطيطها تولد حروفها المدية، فالضمة بمضاعفة صوتها تولد واواً مدية، والكسرة تولد ياءً مدية، والفتحة تولد ألفاً، وقد اشتُهرت مقالة أن الحركات أنصاف أو أبعاض الحروف المدية.

ومسألة إشباع الحركات لتولد حروفا مدية نلمسها بوضوح في تلاوة الآيات القرآنية في حالتين وهما:

الأولى: إشباع ضمة أو كسرة هاء الكناية المتحركة بين متحركين عند كل القراء في كل القرآن إلا في مواضع معدودة مختلف فيها بينهم، ك (يرضه) و(يره) و(يؤده) وغيرها.

الثانية: إشباع ضمة ميم الجمع لفظاً مطلقاً عند أصحاب الصلة (قالون وابن كثير وأبو جعفر) مثل: عليهم ولا الضآلين - عليهمو ولا الضآلين.

وثبت عند العرب والقراء وجوب إشباع ميم الجمع رسماً ولفظاً إذا تبعت الكلمة بضمير، فمن مواضع واو الإشباع المرسومة في القرآن الكريم:

(ثقفتموهم) (أَنُلْزِمُكُمُوهَا) (إِنْ يَسْأَلْكُمُوهَا) (آتيتموهن) (رأيتموه) وغيرها.

واستأنس بنقل ما قاله الشيخ الضباع عن الاشباع في كتابه الرائع «الإضاءة في أصول القراءة»:

الإشباع لغة: التوفية، وبلوغ حد الكمال،

وصناعةً: عبارة عن إتمام الحكم المطلوب من تضعيف صيغة حرف المد أو اللين لمن له ذلك، وقد اصطلحوا على أنه بمقدار ألفين زيادة على المقدار الطبيعي، بحيث يكون مقدار الحرف فيه ست حركات، أي بأن تمد صوتك بمقدار ثلاث ألفات، ولا يضبط إلا بالمشافهة والأخذ من أفواه المشايخ العارفين، ثم الإدمان عليه.

وقد يراد به لفظ الحركات كوامل غير منقوصات. اهـ

وقد اعتاد معلمو التجويد التحذير من التمطيط وذلك بالإفراط في تحقيق الضمة لئلا يتولد عن ذلك واوًا، لاسيما إذا جاء بعد الضمة واو متحركة نحو : (نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ) (سليمانُ ولكن) (اللّه ولدا) (يعلمُ وأنتم)، أو جاء بعد الكسرة ياء نحو : «مالكِ يوم، الحكمة يعظكم» تمامًا كما يحذّروننا من تمطيط الحروف التي تقبل جريان الصوت، أو بعضه، كـ«اللام» في «الحمد» و «النون» في «أنعمت».

إذن وبلا شك أنَّ الناظم هنا يقصد بالإشباع المعنى التجويدي وهو لفظ الحركات كوامل غير منقوصات، وخصوصًا في مورد مجيء الضمة بعدها واو، أو الكسرة بعدها ياء، فيُخشى اختلاس الضمة أو الكسرة استغناء بما يليها من ما هو مجانس لها صفة ومخرجًا.

إذن فعدم إشباع الحركة يعني اختلاسها أو تحويلها الى سكون أو يسمعها السامع لقصرها كأنها سكون، وهذا ما هو معروف في قراءة أبي عمرو من اختلاس كسرة بارئكم وأرنا ، وهذا هو المنهي عنه في هذا البيت.

ولا بدّ من الإشارة إلى أنَّ شبهة إشباع الواوات بعد الضمات والياءات بعد الكسرات وتحويلها إلى حروف صحاح قد وقع فيها ممن رواها عن ورش ممن سمَّاهم الداني بالمنتحلين لمذاهب القراءة وبيَّن خطأ تأوُّلهم لهذا البيت.

ومما يُلفت النظر تعليق ابن الجزري في النشر عليه بقوله «وله وجه».

ومن تعابير هؤلاء المطّططين قولهم: واو شكل لقيت واو سواد، وياء شكل لقيت ياء سواد، فواو الشكل أي ما ضبط من الضمة المشبعة واوا ، وواو السواد أي المرسومة أصلاً في المصحف، فأتوا بعد الضمة بواو ممكنة وبعد الكسرة بياء ممكنة، وهذا ما افتقر لرواية فضربت تأويلاتهم عرض الجدار، ولا يخفى على القارئ اللبيب أن لغة العرب تصل بالحركة ما كان متحركًا، فلا يُقبل من القارئ وصل المتحرك بإسكانه كما هو مألوف عند العوام ، فهو مستملح عندهم في قراءة الشعر ونثر المقال الفصيح، وبالطبع لا يتحقق إشباع الحركة (أي بعدم اختلاسها) إلا بالوصل وهو ما سماه الناظم بالمرِّ، لأن الوقف يكون بالإسكان ولا حذر منه.

ولا ننسى أنَّ الاشباع المأمور به في موضع نعبدُ بالوصل بـ(وإيّاك)، لا يعني الأمر بالتمطيط فلا نقبل أنْ يحوَّل الضمة واوا أي نرفض رفضاً قاطعاً أن نقرأ: نعبدو وإيّاك. ومثلها أيضًا لا يجوز التمطيط بتحويل الكسرة إلى ياء مدية في مثل : مالكي يوم الدين. فلفظ الياء هنا ليس تصرفًا لفظيًّا يرفضه المجودون فحسب ، بل يعطي معنى قبيحًا إذ يغير صيغة الإفراد في مالك الى صيغة الجمع مالكين الذي حذفت نونه للإضافة، وفي ذلك ما فيه من القبح العقائدي وهو تحريف لمراد الله عز وجل.

وأوكد أنَّ كل ذلك لحن جلي لأنها زيادة حرف حتى إذا عدها لبعض انها عادة متداولة عند العوام، وهي اليوم مقبولة في أدبيات المحاورة اليومية، لأننا لا نحكّم في القرآن وتلاوته تصرفات العوام وإنما ضابطنا فيه النهج العربي السليم ولغته السائدة وليست اللهجات المستبشعة المهجورة الشاذة حتى لو نقلها ناقل، وبنفس الوقت الذي نحذر فيه من اختلاس الحركة فإننا نحذر من اختلاس الواو المدية المتبوعة بواو، أو الياء المدية المتبوعة بياء، وهذا ما اصطلح عليه عند المتأخرين بمد التمكين وهو من المدود الطبيعية عندهم، وأصله تمكين الياء بعد ياء مشددة أو مكسورة نحو: النبيِّين ويستحيي.

وألحق به هذا النوع لتجنب اختلاس الواو والياء أي تمكين مدهما في مثل: آمنوا وهاجروا، أنَّهُ واقع، الذي يوسوس، بهِ يؤمنون، ومن الملفت أنَّ الناظم استخدم كلمة: وضمك، أي أنه يحمّل القارئ مسؤولية اختياره وأداءه فالضم ضمك تضبطه بشفتيك باستدارتهما مع رفع مؤخر اللسان قليلاً باتجاه الطبق أو الحنك اللحمي، ثم يحمِّل القارئ مسؤولية الإشباع بقوله كن مشبعاً له، بأمره له بإشباع ضمه المتبوع بواو، ويجعل ضابطي الأداء ومتقني التلاوة أنموذجاً للاقتداء به بقوله: كما أشبعوا، والفاعل في أشبعوا واو الجماعة الذي يعود على جماعة المؤدِّين الذين لم يسمح البيت الشعري باستيعاب ذكرهم سوى الإشارة إليهم ونعم الإشارة، ولم يحتج لذكر سبب اختيار هذا المورد أي (إياك نعبدُ) ولم يحتج إلى ذكر كلمة (وإيّاك) التي تبدأ بواو لأنَّ البيت الشعري لا يسع أولاً، وثانيًا لأنه نوَّه عن ذلك في صدر البيت بقوله: (وضمك قبل الواو) والضم في مثاله يقع في كلمة نعبدُ، فأجاد في نظمه واختياره اختصاره.

الانتظار
بالنظرة القرآنية

غفران كامل

الانتظار هو وضع نفسي وسلوكي يكاد يكون من الممارسات المشتركة بين البشرية أجمع، فضلاً عن الاختلاف الكبير في الاعتقاد بشخصية المنتظر أو ماهية الحالة المنتَظَرة، والتعالم على هذه الأطروحة لم ينحصر في الموروث الإسلامي فحسب، بل يتعداه كونه ناموساً إنسانياً يتحرك بالأفق العقلي والذوقي المقبول، من هنا كان الانتظار أمراً لصيقاً في النفوس أيا كان توجه هذه النفوس ومدى إيمانها، والانتظار في اللغة هو: (تأمل الشيء ومعاينته)[1]، أما في الاصطلاح فهو (كيفية نفسانية ينبعث منها التهيُّؤ لما تنتظره، فكلما كان الانتظار أشد كان التهيُّؤ أكمل)[2]، وإذا ما عطفنا النظر وأمعنا الفكر نجد أن النص القرآني قد تعرض إلى ذكر تلك المفردة وما يرادفها من معاني تدور في هذا الفلك غير مرة، إذ قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ * فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ﴾[3]، وفي موضع آخر قال تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾[4]، وقوله سبحانه: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ * وَانتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾[5]، وأيضاً عنه تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ﴾[6]، وفي مورد آخر جاء لفظ الترقب بمعنى الانتظار، إذ يقول تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾[7]، وصورة أخرى يعبر القرآن عن الانتظار بمفردة التربص- ﴿قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَىٰ﴾[8]، وعندما يتطرق القرآن الكريم إلى ذكر الثلة الطيبة من أصحاب رسول الله ﷺ يصفهم بالمنتظرين، حيث يقول تعالى- ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾[9].

مما سبق نرى أن القرآن الكريم يوحي أن هناك تلازمية بين الانتظار والعمل، فكلما جاء ذكر الانتظار جاء ذكر التهيُّؤ والتأهب؛ لذلك نستشف أن الانتظار هو استعداد دائم وعمل دؤوب، ومن هذا القبيل وعلى هذا السبيل فليكن انتظارنا لظهور الحجة بن الحسن ﷺ انتظاراً إيجابياً مثمراً مكللاً بالعمل الصالح والالتزام الصحيح، حتى يتحول الانتظار من الشعار إلى شعور معاش، وهذا للمعنى تأييد وتعاضد الروايات الشريفة والأحاديث المتيقنة التي نطقت بأنّ الانتظار هو عمل بحد ذاته، بل هو أفضل الأعمال، فعن رسول الله ﷺ: (أفضل أعمال أمتي انتظار الفرج من الله)[10]، وهذا تعريض لقول بعضهم ممن اعتقدوا بأنّ الانتظار هو الركون والسكون أو إحصاء العلامات، كلا وألف كلا فالأمر أوسع من ذلك بكثير، كون الانتظار له مقتضيات وواجبات ملقاة على عواتق المنتظرين، منها على سبيل المثال لا الحصر- المداومة على الطاعات، واجتناب المحرمات، وتهذيب النفس وتزينها وتحصينها بمحاسن الأخلاق، فقد جاء عن صادق أهل البيت ﷺ: (من سره أن يكون من أصحاب القائم فلينتظر وليعمل بالورع ومحاسن الأخلاق وهو منتظر، فإنْ مات وقام القائم بعده كان له من الأجر مثل من أدركه)[11].

١- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، ج٥ ص٤٤٤.
٢- مكيال المكارم، ميرزا محمد تقي الأصفهاني، ج٢، ص١٢٦.
٣- سورة السجدة، الآيات ٢٨ - ٣٠.
٤- سورة الأنعام، الآية ١٥٨.
٥- سورة هود، الآيتان ١٢١-١٢٣.
٦- سورة يونس، الآية ٢٠.
٧- سورة هود، الآية ٩٣.
٨- سورة طه، الآية ١٣٥.
٩- سورة الأحزاب، الآية ٢٣.
١٠- كمال الدين، الشيخ الصدوق، ج٢ ص٦٤٤.
١١- مكيال المكارم، ميرزا محمد تقي الأصفهاني، ج٢، ص١٢٧.

في صفات اللّه

القسم الثاني

الشيخ قاسم الخفاجي

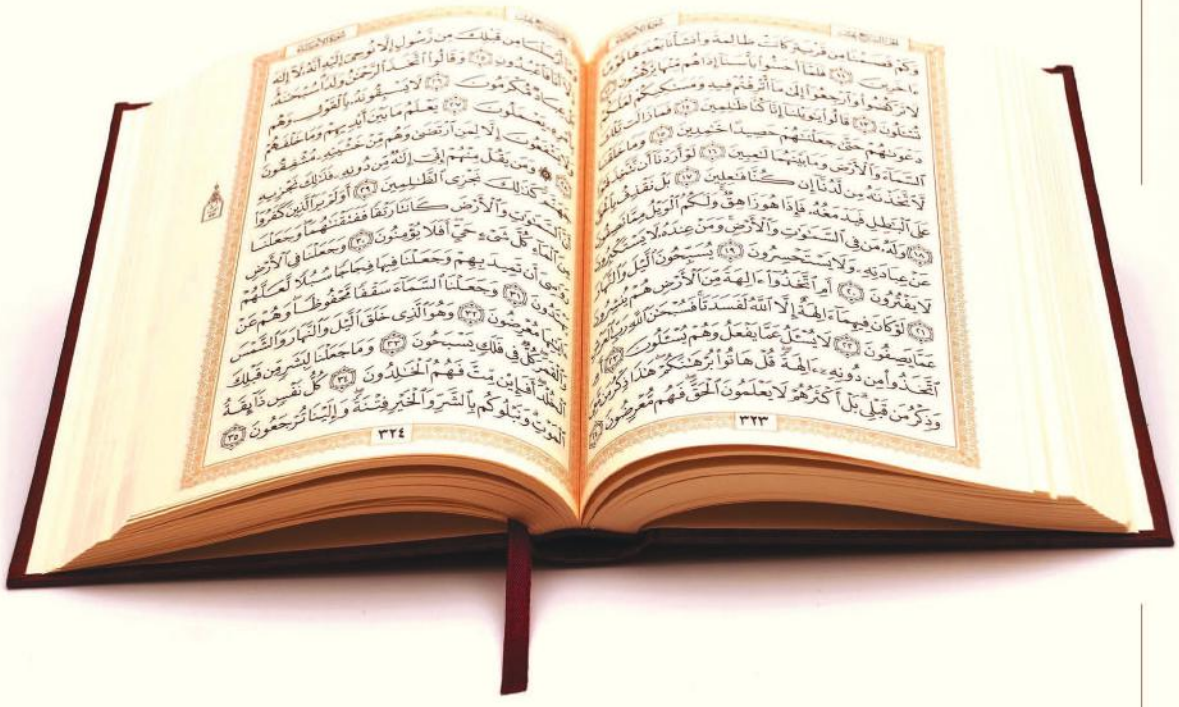

فوائد مما سبق:

أولاً- إنَّ اختلاف الأديان والفرق الدينية جاء بسبب اختلافهم في صفات الله تعالى.

ثانيًا- إنَّ هناك معيارًا لصفاته تعالى.

ثالثًا- عند مراجعة الأنظمة الكونية علمنا أنَّ خالقها ذو إرادة وعلم وحياة وقدرة.

رابعًا- وعلمنا أنَّ الإرادة والقدرة تتوقف على الحياة.

ومنها نستفيد أنَّ بعض الصفات لا يمكن أن نسلبها عن الخالق، فإذا جال في خاطرنا الخالق المبدع تصورنا الحياة والقدرة والعلم، ولا نعقل أنه لا يوصف بهذه الصفات، فإنَّ من يمد هذا الكون الفسيح بمجراته العظيمة الكثيرة بما فيها من كواكب وأجرام، ويمد هذه المخلوقات الموجودة على كرة الأرض بالحياة والرزق لا بد أن يكون حيًا وقادرًا وعالمًا بما في هذا الكون.

إلا أنَّ هذا لا يعني أنْ تكون الحواس وما تستلمه من الخارج كمعطيات من هذا الكون هي الأساس في المعرفة، لأنَّ بعض الصفات لا تدرك بهذه الطريقة، ولا يعني استحالة معرفتها مطلقاً كما ذهب إليه الذين عطلوا عقولهم وقالوا باستحالة معرفة صفاته تعالى، والعقل عاجز عن التحليق إلى الصفات الإلهية وكل ما يطرحه رجم بالغيب، وقالوا إنَّ العقل غير مكلف في الورود إلى هذا الميدان، ويمنع عقلاً وشرعًا الخوض في هذه المسألة، وهذا الموقف الفكري يناقض موقف أولئك الذين شبهوا البارئ تعالى شأنه بمخلوقاته ونسبوا إليه اليد والوجه وغيرها، والظاهر أنها ردة فعل.

والطرفان وقعا بين الإفراط والتفريط؛ لأنَّ المشبّهة جعلوا للخالق جسمًا، والجسم يخضع للزمان والمكان والإحاطة به، لأنَّ كل جسم منتهٍ، وبعبارة أخرى أنَّ له حدًا ينتهي به، وهو تصنيم لله، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا، أما المعطلة فقد نفوا الصفات الكمالية له وجعلوه خاليًا من أية صفة، وبهذا النفي عدموا حتى ذاته.

والحق أنه جل شأنه له صفات كمالية يتصف بها ويتنزه عن صفات النقص، وأيضاً فالصفة عنده تعالى عين الموصوف، وكما يعبر عنه علماء الكلام أنَّ صفاته عين ذاته، ولتقريب الصورة أكثر نقول: إنَّ الصفات عند المخلوقات هي غير الموصوف بها، ونحن عندما نقول: إنَّ زيدًا عالم، يتميّز زيد عن العلم، لأن زيدًا شيء والعلم شيء آخر، فهناك اثنينية بينهما.

أما في ساحة البارئ فليست هكذا، لأنّا حينما نقول: إنَّ الله عالم لا يمكننا جعل اثنينية بين الله والعلم، وكذا الكلام في الحياة والقدرة، فالعلم والحياة والقدرة عين ذاته.

إنَّ من المؤسف تعطيل بعض المسلمين لعقولهم عن معرفة الله أو يُشبّهه آخرون منهم بمخلوقاته، وهم يعلمون أنَّ ساحة الخالق تعالى شأنه غير ساحة المخلوق، وأيضًا عدم رجوعهم إلى النصوص القرآنية التي تثبت صفات الله تعالى وتنزهه عن أخرى، وأيضًا تركوا السنة الشريفة المتمثلة بنصوص النبي الأكرم ﷺ وأهل بيته، هذا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ يسند العقول ويوجهها نحو الطريق السوي لأجل الوصول إلى معرفته تعالى، قال في خطبة له ﷺ: (الحمد لله الذي لا يموت، ولا تنقضي عجائبه، لأنه كل يوم في شأن من إحداث بديع لم يكن، الذي لم يولد فيكون في العز مشاركا، ولم يلد فيكون موروثا هالكا، ولم يقع عليه الأوهام فتقدره شبحا ماثلا، ولم تدركه الأبصار فيكون بعد انتقالها حائلا، الذي ليست له في أوليته نهاية، ولا في آخريته حدٌّ ولا غاية، الذي لم يسبقه وقت، ولم يتقدمه زمان، ولم يتعاوره زيادة ولا نقصان، ولم يوصف بأين ولا بمكان، الذي بطن من خفيات الأمور، وظهر في العقول بما يرى في خلقه من علامات التدبير، الذي سئلت الأنبياء عنه فلم تصفه بحد ولا بنقص بل وصفته بأفعاله، ودلت عليه بآياته ولا تستطيع عقول المتفكرين جحده، لأن من كانت السماوات والأرض فطرته وما فيهن وما بينهن وهو الصانع لهن فلا مدفع لقدرته، الذي بان من الخلق فلا شيء كمثله، الذي خلق الخلق لعبادته وأقدرهم على طاعته بما جعل فيهم، وقطع عذرهم بالحجج، فعن بينة هلك من هلك وعن بينة نجا من نجا، ولله الفضل مبدئا ومعيدا)[1]، بهذا المنهج العقلي الذي خطه الإمام ﷺ يمكننا السير في معرفة الصفات بلا خطر التعطيل أو بلاء التشبيه.

القرآن الكريم
ينفي التشبيه ويرفض التعطيل

﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ﴾[2] ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[3] ﴿سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾[4] ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾[5]، ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾[6] ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[7] ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[8].

مجموع هذه الآيات وآيات أخرى في الكتاب الحكيم تُخبر أنه جل شأنه له حقيقة وصفات ولا يشاركه في حقيقته وصفاته وأموره أحد من خلقه، وهذه الأمور من رؤوس أموال المتجر العلمي، روي أنَّ أعرابيًا جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله علمني من غرائب العلم، قال: ما صنعت في رأس العلم حتى تسأل عن غرائبه؟، قال الرجل: ما رأس العلم يا رسول الله؟ قال: معرفة الله حق معرفته، قال الأعرابي: ما معرفته حق معرفته؟ قال: تعرفه بلا مثال ولا شبه ولا ند وأنه واحد أحد ظاهر باطن أول آخر لا كفو له ولا نظير له فذلك حق معرفته[9].

١- التوحيد، الشيخ الصدوق، ص٣٢.
٢- سورة الأنعام، الآية ١٠٠.
٣- سورة التوبة، الآية ٣١.
٤- سورة الزمر، الآية ٤.
٥- سورة آل عمران، الآية ٢.
٦- سورة البقرة، الآية ٢٦٧.
٧- سورة آل عمران، الآية١٨.
٨- سورة الشورى، الآية ١١.
٩- التوحيد، الشيخ الصدوق، ص٢٨٥.

الصبر

هو أم الفضائل، وأصل مكارم الأخلاق، ومنه تتفرع كل موهبة ومكرمة فكما أن الحي القيوم أم الأسماء الحسنى ومنهما تتفرع سائرها، كذلك يكون الصبر، فهو حقيقة المقاومة مع المكاره والشهوات والمشتهيات، والاستقامة مع ما يرتضيه العقل والشرع من محاسن الأخلاق، والوصول إلى المعارف والكمالات، والمواظبة على الواجبات وترك المحرمات، وقد اعتنى الله تعالى به اعتناء بليغا

فقد وردت مادة (ص ب ر) في القرآن الكريم في ما يقرب من مائة موضع، ولم يرد فضيلة أكثر ذكرا منه فيه، وقد تكرر الأمر به، قال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾[1]، وقال جل شأنه: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصابِرُوا وَرابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[2]، وقال عز وجل: (فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ)[3].

وورد الأمر بالاستعانة به في قوله تعالى: ﴿اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ﴾[4]. والاستعانة بالصبر في الأمور التكوينية استعانة بأسبابها الظاهرية والمعنوية، وكلها ترجع إلى مراعاة حصول المسببات عند حصول أسبابها المقتضية لها، واستنتاج النتائج من المقدمات المعدة لها، وترك المبادرة إلى نقض هذا الأمر العقلي النظامي، فإنه يؤدي إلى خلاف المطلوب، وفي الأمور الاختيارية فهو إما على ما تكره النفس، أو على ما تحبه، والأول عبارة عن مقاومة النفس للمكاره الواردة عليها وثباتها في مقابلها، وعدم تأثرها، وعدم انفعالها، وقد يعبر عن ذلك بالشجاعة وسعة الصدر أيضا، والثاني عبارة عن مقاومة النفس لمدافعة القوى الشهوانية والغلبة عليها بالعقل والفكر، وكل ذلك من الحكمة العملية التي اهتم الفلاسفة، وعلماء الأخلاق بشرحها، فما ورد في السنة المقدسة من (أن الصبر مفتاح الفرج) مطابق للقاعدة العقلية، لأنه دخول في الشيء من أحسن أبوابه. وقد أشار نبينا الأعظم ﷺ إلى عظيم منزلته لما سئل عن الإيمان، فقال ﷺ: (هو الصبر)، كما جعله جزء الإيمان، فقال ﷺ: (الإيمان نصفان فنصف صبر، ونصف شكر)، وقال ﷺ: (ما أعطي أحد عطاء خيرا له و أوسع من الصبر)، وعن الأئمة الهداة عليهم السلام: (الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد فمن لا صبر له لا إيمان له)، والصبر من صفات الأنبياء والمرسلين الذين أمرنا بالاقتداء بفعلهم و الاهتداء بهديهم، قال تعالى مخاطبا للرسول الأعظم ﷺ: ﴿فَاصْبِرْ كَما صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾[5]، وقال جل شأنه: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلى ما كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتاهُمْ نَصْرُنا﴾[6]، وقال تعالى: ﴿وَإِسْماعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾[7]، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا لَمَّا صَبَرُوا وَكانُوا بِآياتِنا

١- سورة هود، الآية ١١٥.
٢- سورة آل عمران، الآية ٢٠٠.
٣- سورة غافر، الآية ٥٥.
٤- سورة البقرة، الآية ١٥٣.
٥- سورة الأحقاف، الآية ٣٥.
٦- سورة الأنعام، الآية ٣٤.
٧- سورة الأنبياء، الآية٨٥.

يُوقِنُونَ﴾[٨]، فكما أن الصبر من أهم مقومات حياتهم ﷺ فهو من أقوى محققات شؤونهم، فما بعث الله تعالى نبيا ولا أرسل رسولا، بل ولم يفض علما على عالم إلّا وكان الصبر أليفه حتّى صار النصر حليفه، وقد تحمل من المشاق حتّى صار شهير الآفاق، وذلك من سنة الله: ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾[٩]، وقد عدّ الصبر في السنّة المقدسة من جنود العقل وضده من جنود الجهل، فهو من حيث كونه من جنود العقل له دخل في نظام التكوين، ومن حيث إنه الإيمان، أو جزء الإيمان له دخل في نظام التشريع فهو جامع للمنزلتين، وحائز للدرجتين، فله دخل في الأمور الطبيعية فإن مراتب استكمالها لا تتم إلّا بالتدرج وعدم العجلة - وإن لم يصح إطلاق الصبر بالمعنى المعهود عليها- ولذلك ترى أن بذور النباتات والأشجار لا تصل إلى مرتبة الكمال إلّا بالتدرج، وقد ورد في الحديث: أن ذكر ستة أيام في خلق السموات والأرض إنما كان لتعليم العباد التأني والصبر، وإلّا فهو قادر على خلقهنّ في أقل من ذلك. فهو من أهم موجبات تحقق المقاصد والظفر بالمطلوب إن توفرت بقية الشرائط، قال علي ﷺ: (لا يعدم الصبور الظفر وإن طال به الزمان) فليس للصابر إلّا أن يظفر بالمقصود، أو بما أعدّه الله تعالى له من الأجر المحمود، وتقدم في تعريف الصبر أنه: حبس النفس عن الهوى مع مراعاة تكليف المولى، بل يمكن تعريفه بالمعنى العام ليشمل صبر الواجب والممكن، وأنواعه وأقسامه، بأن يقال: (هو تقدير الشيء بالنحو الأتم على ما يناسب النظام الأحسن نوعيا كان أو شخصيا) فيشمل صبر الواجب، حيث أطلق الصبور عليه تعالى في الأسماء الحسنى على ما روي عن نبينا الأعظم ﷺ، وما ورد في الحديث القدسي، وفي الحديث: (لا أحد أصبر على أذى يسمعه من الله عزّ و جل)، وفي دعاء المجير وغيره (يا صابر)، فإنه يتفرع منه الحلم والعفو، والرفق والمداراة كل ذلك متشعب عن الصبر المختلف باختلاف الخصوصيات والجهات، فيختلف معناه كذلك فلا نحتاج إلى تفسير الصبر فيه تعالى بالمعنى العدمي، أي عدم التعجيل في عقوبة العصاة، كما عن جمع من المفسرين واللغويين.

والصبر في الإنسان قد يكون من طبيعته وجبلته فإننا نرى أن بعض الأفراد يصبر على ما يرد عليه من المكاره ويتحمل من المشاق ما لا يقدر غيره على تحملها، وقد يكون بالاكتساب والمصابرة، وهذا أفضل من القسم الأول، وهو موضوع منازل السائرين إلى الله تعالى في سيرهم وسلوكهم، وأهم عمادهم في التخلية عن الرذائل والتحلية بالفضائل والتجلية بالتخلق بأخلاق الله تعالى، وبقية الدرجات من الفناء والطمس، والمحو، والمحق وغيرها مما شرحه أهل الفلسفة العملية والعرفاء، كما أن الصبر عن الشيء تارة يكون مع وجود المقتضي وفقد المانع خارجا، وأخرى مع الميل النفساني وعدم المقتضي، وثالثة مع الميل ووجود المانع، وتختلف مراتب فضل الصبر باختلاف هذه المراتب، وللصبر أنواع وأفراد كثيرة كلها من الفضائل، ولكل فرد اسم خاص به، وضدٌ مختص به، فيسمى الصبر في الحرب شجاعة وضده الجبن، وفي المصيبة الصبر- بقول مطلق- وضده الجزع، وفي الحوادث المضجرة رحابة الصدر وضده الضجر، وفي الكلام كتمانا وضده الإذاعة والإفشاء، وإن كان الصبر عن المفطرات سمي صوما وضده الإفطار، وعن شهوة البطن والفرج سمي عفة وضده التهتك، وإن كان في كظم الغيظ والغضب سمي حلما ويضاده التذمر، وإن كان عن حطام الدنيا سمي زهدا وضده الحرص، وفي المأكل و المشرب سمي قناعة وضده الشره، وقد سمّى الله تعالى كل ذلك صبرا، وأشار إليه سبحانه في قوله: ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾[١٠].

والصبر لا يتحقق إلّا مع عقد القلب عليه والعزيمة على الاستمرار عليه، وإلّا فإن صرف وجود الشيء لا أثر له، وإنما الأثر يترتب على البقاء وهو يحصل بالصبر والمصابرة والاستقامة على تحمل المكاره ولذلك كان الصبر من عزائم الأمور فقال تعالى: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾[١١]، وعن علي ﷺ: (ألق عنك واردات الهموم بعزائم الصبر، عوّد نفسك الصبر فنعم الخلق الصبر). ثم إنّ الصبر تارة: يكون بتوفيق من الله وللتقرب إليه، وفي مرضاته كصبر الأنبياء والمرسلين ولا سيما سيدهم ﷺ، وهذه أعلى درجات الصبر، ويترتب عليه الثواب العظيم المعد للصابرين، وأخرى: يكون بتوفيقه تعالى، وليس لله تعالى، بل لأجل أغراض صحيحة أخرى، وثالثة: لا يكون بتوفيقه أيضا وإن كان لأجل أغراض صحيحة أخرى والغفلة عنه عزّ وجل، والثواب يتحقق في الجميع لأن الصبر بنفسه محبوب له تعالى، وربما يكون اختلاف الثواب والجزاء عليه في القرآن الكريم لأجل اختلاف درجات الصبر، فهو تعالى يخبر تارة: بأنه: ﴿يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾[١٢]، ومحبته تعالى لشيء من أعلى المقامات وأجلها، وأنه مع الصابرين، فقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[١٣]، وأنه بشر الصابرين، فقال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾[١٤]، وأنه خير لهم، فقال تعالى: ﴿وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾[١٥]، وأخرى: يخبر بأن لهم الثواب الجزيل قال تعالى فيهم: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾[١٦]، ويخبر ثالثة بمضاعفة الأجر لهم، قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَؤُنَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾[١٧]. ورابعة: أنّ لهم الأجر بلا حساب، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[١٨]، وعن الصادق ﷺ قال: (سمعت أبا جعفر ﷺ يقول: إني لأصبر من غلامي هذا، ومن أهلي على ما هو أمرّ من الحنظل، إنه من صبر نال بصبره درجة الصائم القائم ودرجة الشهيد الذي قد ضرب بسيفه قدام محمد ﷺ، والصبر من الصفات ذات الإضافة، فإذا لوحظ بالنسبة إليه تبارك وتعالى يكون محبوبه ومورد بشارته، وإذا لوحظ بالنسبة إلى الصابر يكون من جهات كماله ومكرمة له، وإذا لوحظ بالنسبة إلى الاجتماع يكون مورد التحبب والتودد والعناية، وهو في كل شيء بحسبه بشرط أن لا يصل إلى مرتبة يقبح الصبر فيها شرعا أو عرفا وعقلا، وإلّا فلا يكون صبرا مرغوبا، كالصبر على هتك العرض، أو المال، أو النفس وهو قادر على دفع المظالم، وعليه ينقسم الصبر حسب الأحكام التكليفية الخمسة.

وقد ورد في الشرع موارد يستحب التعجيل فيها، فعن نبينا الأعظم ﷺ: (خير الخير ما كان عاجله)، وعنه ﷺ: (عجلوا بموتاكم إلى مضاجعهم)، وفي نصوص كثيرة التعجيل في تزويج الأبكار بالكفء و التعجيل بإتيان الصّلاة في أول وقتها، إلى غير ذلك من الموارد التي تستحب العجلة فيها. ثم إنّ في الصبر عن الشهوات النفسانية فضلا كبيرا، فعن الباقر ﷺ: (الصبر صبران، صبر على البلاء حسن جميل وأفضل الصبر الورع عن محارم الله) سواء أكان الصبر فيها مع تهيئة أسبابها، أو مع إمكان التهيئة، أو مع عدمهما معا، والصبر عنها يدور مدار زوال حب النفس والهوى وترك متابعة الدنيا، والأولان يرجعان في الحقيقة إلى ترك حب الدنيا، بل يدور جميع مكارم الأخلاق مدار التجنب عنها، ومذام الأخلاق مدار التقرب منها، وقد تواتر عن نبينا الأعظم ﷺ: (حب الدنيا رأس كل خطيئة) وعلامة تقوية الصبر وتضعيف حب الدنيا هي كثرة التفكر في الدنيا وفنائها وأنها أقوى الحجب عن الوصول إلى المعنويات، بل أصل الحجب الظلمانية عن المعارف الربوبية، والأخلاق الإلهية.

مواهب الرحمن في تفسير القرآن، السيد عبد الأعلى الموسوي السبزواري ج١، ص: ٢٢٠

٨- سورة السجدة، الآية ٢٤.
٩- سورة الفتح، الآية ٢٣.
١٠- سورة البقرة، الآية١٧٧.
١١- سورة لقمان، الآية ١٧.
١٢- سورة آل عمران، الآية ١٤٦.
١٣- سورة الأنفال، الآية ٤٦.
١٤- سورة البقرة، الآية ١٥٥.
١٥- سورة النحل، الآية ١٢٦.
١٦- سورة البقرة، الآية ١٥٧.
١٧- سورة القصص، الآية ٥٤.
١٨- سورة الزمر، الآية ١٠.

مؤازرة المرأة لزوجها

((السيدة هاجر عليها السلام))

لا يختلف ذكر النساء عن غيره في قصص القرآن الكريم، إذ تجتمع فيه مقاصد وغايات متنوعة تهدف جميعها لإنجاز البناء التكاملي لعقل وروح الإنسان، لبلوغ مكامن الإيمان بخالقه، وبالتالي يتمكن من تحقيق غاية خلقه التي أشار إليها الله عز وجل في كتابه العزيز، ألا وهي عبادة الواحد الأحد ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[1]

❖ رغد عزيز

ولا يقتصر هذا البلوغ على تأدية الإنسان لما كلف به من إتيان أو ترك فحسب، وإنما تشمل كل عمل مستحب يقوم به بقصد القربى له عز وجل ونيل رضاه، ولما حددت علاقة الأزواج بتكليف القيمومة بالنسبة للرجل والطاعة للمرأة، إذ كلفت المرأة بطاعة زوجها، لم تكن هي النافذة الوحيدة التي يطلب من خلالها كل من الزوجين رضا الله تعالى، وإنما من عظيم رحمته جعل لهما نوافذ متعددة يستطيعان من خلالها نيل مطلبهما، فكما تنال الزوجة بطاعتها لزوجها رضا الله تعالى، فإنَّ مؤازرتها لزوجها ومعاضدته فيما يمر به من ظروف صعبة وعسيرة في سبيل الله إحدى النوافذ التي تسطيع من خلالها نيل هذا الرضا، كونه دلالة عملية على صدق إيمانها بالمولى عز وجل وحبها له، ولنا في قصة السيدة الجليلة (هاجر) زوجة نبي الله إبراهيم الخليل عليه السلام مثلاً، حيث جاءت بموقف استطاعت أن تجسد من خلاله معنى المؤازرة في ظل الامتثال لأمر الله تعالى، وأهميتها في حياة أسرتها، وتعزيز مكانتها لدى زوجها، فما قدمته السيدة (هاجر) لا تقوى على تقديمه إلا تلك الزوجة العامر قلبها بالإيمان، والحب لله تعالى، الباذلة مهجتها في سبيله، إذ إنها قدمت تضحية كبيرة تحملت على إثرها أنواع المشقة والعذاب، والغاية منها مؤازرة نبي الله في تأديته تكليفه الإلهي بتهيئة المكان المناسب لانطلاق الرسالة الخاتمة على يد نبي آخر الزمان محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الأطهار إلى جانب دعوة الناس إلى التوحيد، ولنا على بذلها لأجل ذلك شواهد متعددة وفق ما بينه لنا التراث الروائي والفكري في توضيح قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام وتفسير الآيات القرآنية التي ورد فيها ذكره، فيذكر الشيخ ناصر مكارم الشيرازي في تفسيره: (وقد أدى حسد سارة زوجته الأولى لهاجر التي كانت جارية واختارها زوجة له وولدت له إسماعيل . . إلى أن يأتي بها من فلسطين بأمر الله إلى مكة ويتركها وابنها بين الصحاري والجبال اليابسة، بدون مأوى ولا قطرة ماء، ويعود ثانية إلى فلسطين)[2]، ومع قراءة النص يراودنا تساؤل مفاده إذا كانت غيرة الزوجة الأولى هي من اضطرت نبي الله إبراهيم عليه السلام على إخراج السيدة وولدها من فلسطين خوفاً عليهما وحماية لهما، لماذا يأمره جل وعلا أن يعرض عن إيداعهما في إحدى المدن العامرة بأهلها وخيرها فيكونان بها في مأمن وراحة وأن يضعهما في واد غير ذي زرع وماء وأنام؟! وأقرب إجابة على ما تقدم أنَّ ذلك الخروج وذلك السكن إنما جاء ليكون سبباً يمهد لإحكام أمر عظيم لا يعلمه إلا الله، فهذا السكن قد غير ديمغرافية المنطقة بشكل تام على إثر نبع ماء زمزم وطلب القبائل له لجعلها منطقة عامرة بالناس والزرع (إن ظهور عين زمزم ومجيء قبيلة جرهم والسماح لها بالسكن كل ذلك أدى لأن تعمر هذه الأرض، ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليه وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون)[3]، كما ورفع نبي الله إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام لقواعد البيت الحرام بأمر من الله عز وجل (﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾..، دعاء لإبراهيم وإسماعيل وفي عدم ذكر متعلق التقبل - وهو بناء البيت - تواضع في مقام العبودية واستحقار لما عملا به)[4]، كل هذا جعل من مكة - ومع مرور الزمن - مركزاً تتوافد عليه الناس من أمصار مختلفة لتحقيق مقاصد خاصة بها، مما جعلها أنسب الأماكن لانطلاقة الرسالة المحمدية لاعتبارات متعددة لسنا في صدد ذكرها، ومن هذا الموقف للسيدة هاجر عليها السلام مع زوجها النبي إبراهيم عليه السلام تدرك كل أمرأة كيف تؤازر زوجها أي تسانده وتساعده في إنجاز أمره حتى وإنْ كانت لأجل ذلك الصعاب والمشقة.

١- سورة الذاريات، الآية ٥٦ .

٢- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ج٧، ص٥٥٠.

٣- المصدر نفسه.

٤- الميزان في تفسير القرآن، العلامة السيد محمد حسين الطبطبائي، ج١، ص٢٨٢.

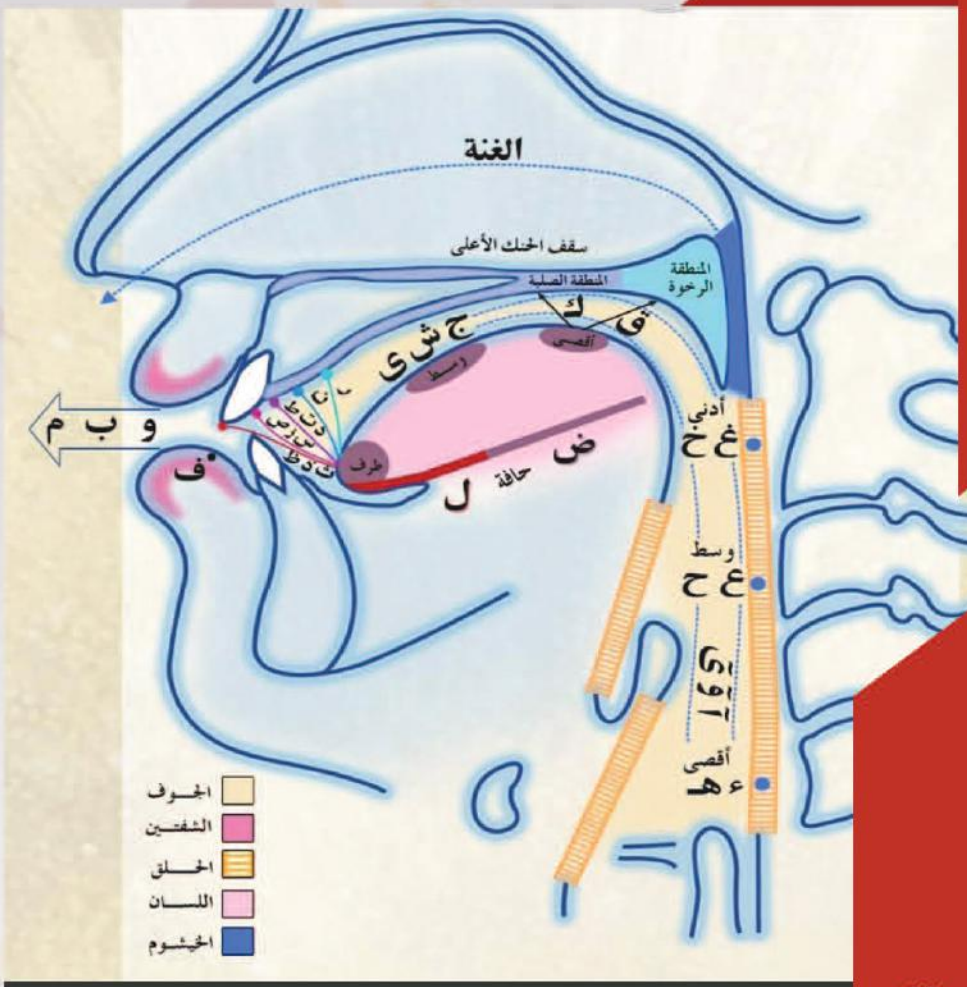

الإمام الصادق (عليه السلام) وأعضاء الكلام

عبد الكريم الأنصاري

أول واجب على دارس الأصوات هو معرفة ما يسمى (أعضاء النطق) من حيث تكوينها، ومن حيث كيفية استعمالها في تكوين الأصوات الكلامية، ولكن هذا لا يعني أنه بحاجة إلى الإلمام بكل التفصيلات التي يقدمها علم (وظائف الأعضاء)، وعلم (التشريح)، عن أعضاء النطق، إذ إن الكثير من هذه المعلومات لا يقدم له نفعاً، ولكن هناك قدراً ضرورياً من المعرفة بهذه الأعضاء عليه أن يحصله، لأن هذه المعرفة هي الحجر الأساس لوصف الأصوات وتصنيفها[1].

ومن ثم نجد معظم الباحثين الذي درسوا الأصوات اللغوية يحرصون على كتابة مقدمة في وصف أعضاء النطق، وكذلك فعل علماء التجويد من قبل فكانوا قد عرفوا كل تلك الأعضاء وأدركوا دورها في تكوين الأصوات، ولم يغب عن إدراكهم منها شيء، سوى ما لا يقع تحت النظر والملاحظة الذاتية، وإن

١- ينظر: محمود السعران: علم اللغة، مقدمة للقارئ ص١٤٠ -١٤١.

كانوا قد أحسّوا بأثره الصوتي وميزوه عن غيره. ووجود تباين في التفاصيل بين كلام علماء التجويد وكلام اللغويين والمحدثين أمر متوقع لسببين:

الأول: تقدم مناهج البحث.

الثاني: ازدياد المعرفة العامة.

ويمكن أن يعمل هذان السببان عملهما في تقسيم التباين في دراسة آية ظاهرة عند جيلين من العلماء يعيشان في عصرين مختلفين.

فالمحدثون من علماء الأصوات منقسمون على قسمين في استخدام المصطلح المعبر عن موضوع هذا البحث، فبعضهم يستخدم كلمة (جهاز) فيقول: (جهاز النطق)[2]، أو (الجهاز النطقي)[3]، أو (جهاز التصويت)[4]، وبعضهم يستخدم كلمة (أعضاء)، فيقول: (أعضاء النطق)[5]، أو (الأعضاء الصوتية)[6].

إنّ بعض علماء التجويد يميل إلى استخدام عبارة (آلة النطق)، خاصة عبد الوهاب القرطبي (ت٤٦٢هـ) في كتابه (الموضح في التجويد)، حيث ردّدها خمس مرات، من ذلك قوله: (فأما وجوب إظهار النون عند حروف الحلق فلأن حروف الحلق تباعدت عن مخرج النون، وهي محتاجة إلى تمكن آلة النطق بها[7] واستخدام ابن البناء (ت٤٧١هـ) آلة النطق[8]، بينما استخدم طاش كبري زاده (ت ٩٦٨هـ) في شرحه على المقدمة الجزرية كلمة (آلات)، و(الالات)[9].

وكان الاسترابادي (ت٦٨٦هـ) وهو من علماء العربية، قد استخدم (آلة الحروف)، و(آلة الأصوات)[10]. واستخدم مكي بن أبي طالب (ت ٤٣٧هـ) كلمة (عضو) وجمعها (أعضاء) حيث قال: (ولا يعتمد اللسان عند خروجها على عضو من أعضاء الفم)[11]. واستخدم علم الدين السخاوي (ت ٦٤٣هـ) كلمة (العضو) مريداً بها أي جزء يشترك في تكوين الصوت، كما يفهم ذلك من قوله: ((ومعنى الادغام أن تصل حرفاً ساكناً بحرف متحرك مماثل له، يرتفع العضو عنهما ارتفاعه واحدة، وإنما قلت: العضو، ولم أقل اللسان كما قال غيري لأن مثل (ثوب بكر) لا يقال فيهما ارتفع اللسان عنهما ارتفاعة واحدة[12])).

ولكن الإمام الصادق عليه السلام قد سبق علماء التجويد بقرون عدة كما ورد عنه عليه السلام في إملائه للمفضل بن عمر: (أطل الفكر يا مفضل في الصوت والكلام وتهيئة آلاته في الإنسان. فالحنجرة كالأنبوبة لخروج الصوت، واللسان والشفتان والأسنان لصياغة الحروف والنغم. ألا ترى أن من سقطت أسنانه لم يقم السين، ومن سقطت شفته لم يصح الفاء، ومن ثقل لسانه لم يفصح الراء، وأشبه شيء بذلك المزمار الأعظم. فالحنجرة تشبه قصبة المزمار، والرئة تشبه الزق الذي ينفخ فيه لتدخل الريح، والعضلات التي تقبض على الرئة ليخرج الصوت كالأصابع التي تقبض على الزق حتى تجري الريح في المزامير، والشفتان والأسنان التي تصوغ الصوت حروفاً ونغماً كالأصابع التي تختلف في فم المزمار فتصوغ صفيره ألحاناً، غير إنه وإن كان مخرج الصوت يشبه المزمار بالآلة والتعريف فإن المزمار -في الحقيقة- هو المشبه بمخرج الصوت)[13].

فقد ورد عنه عليه السلام عبارة (آلات الصوت والكلام)، وكذلك عبارة (أعضاء الكلام أو الحروف)، كما ورد عنه عليه السلام: (وقد أنبأتك بما في الأعضاء من الغناء في صنعة الكلام وإقامة الحروف)[14].

٢- كمال محمد بشر: علم اللغة العام (القسم الثاني)، الأصوات ص٨١.

٣- تمام حسان: مناهج البحث في اللغة ص٦٤، وأحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي ص٨٠.

٤- جان كانتينو: دروس في علم أصوات العربية (ترجمة صالح القرمادي)ص١٧.

٥- إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص١٦ ومحمود السعران: علم اللغة ص١٤.

٦- عبد الرحمن أيوب: أصوات اللغة ص٤٠.

٧- الموضح ١٧٨، ينظر ١٦٩، ١٧٤و١٨٣و١٨٨، وكذلك استخدم أبو شجاع محمد بن علي المعروف بابن الدهان (ت٥٩٢هـ) عبارة (آلة النطق في كتابه (تقويم النظر في الأدلة واختلاف الفقهاء٢)، وابن الدهان لغوي نحوي وأصولي فقيه (ينظر: كحالة معجم المؤلفين ١٥/١١).

٨- كتاب بيان العيوب ١٨٣.

٩- شرح المقدمة الجزرية ١١.

١٠- شرح الشافية ٢٥١/٢و٢٧٢.

١١- الرعاية ص١٠٣.

١٢- جمال القراء ١٧٥ظ.

١٣- توحيد المفضل إملاء الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام عن المفضل بن عمر الجعفي.

١٤- المصدر نفسه.

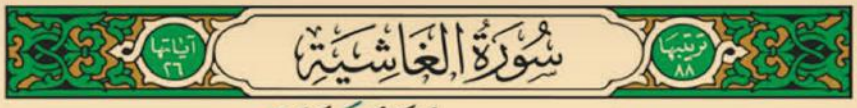

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴿١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴿٢﴾
عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ ﴿٥﴾
لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ﴿٧﴾
وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾
لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾
وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾
أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ
رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ
سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم
بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ
الْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾

إعراب سورة الغاشية

(هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ) هل حرف استفهام ومعناه التعجب والتشويق إلى استماع حديث الغاشية وجعلها بعضهم بمعنى قد و جعلها ابن خالويه مطّردة في كل ما في القرآن من هل أتاك قال (فهو بمعنى قد أتاك) وأتاك فعل ماض ومفعول به وحديث الغاشية فاعل **(وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ)** وجوه مبتدأ وساغ الابتداء به لوجود التنويع والوصف كما سيأتي ويومئذ ظرف متعلق بخاشعة والتنوين في إذ عوض عن جملة لم يتقدم ما يدلّ عليها إلا قوله الغاشية فيمكن استنتاج الجملة منها أي يوم إذ غشيت الغاشية وخاشعة خبر وعاملة ناصبة خبران آخران وقيل خاشعة وعاملة وناصبة صفات للمبتدأ والخبر هو جملة تصلى وعلى الأول جملة تصلى خبر رابع وكلا الوجهين مستقيم وحسن، ونارا مفعول به وقرىء بضم التاء فتكون نارا مفعولا ثانيا ونائب الفاعل مستتر وحامية نعت للنار وتسقى فعل مضارع مبني للمجهول ونائب الفاعل مستتر تقديره هي أي وجوه و المراد أصحابها، ومن عين متعلقان بتسقى وآنية صفة لعين **(لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ)** كلام مستأنف مسوق للإجابة عن سؤال مترتب على ما سبق كأنه قيل وما هو طعامهم بعد ما ذكر شرابهم فقيل ليس لهم ...، وليس فعل ماض ناقص ولهم خبرها المقدّم وطعام اسمها المؤخر وإلا أداة حصر ومن ضريع صفة لطعام أو بدل منه على القاعدة ويجوز أن يكون في محل نصب على الاستثناء **(لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ)** الجملتان صفتان لضريع لا لطعام لأن الضريع هو المثبت وقد نفى عنه الاسمان والإغناء من الجوع، ولا نافية ويسمن فعل مضارع وفاعله هو ولا يغني عطف على لا يسمن ومن جوع متعلقان بيغني، وجعل الشهاب في حاشيته على البيضاوي من زائدة وجوع على هذا يكون في موضع نصب مفعول يغني **(وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ، لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ)** وجوه مبتدأ وساغ الابتداء بالنكرة للتنويع، وسيأتي سر عدم اقترانها بالواو كما يقتضي ظاهر السياق في باب البلاغة، ويومئذ ظرف أضيف إلى مثله متعلق بناعمة وناعمة خبر وجوه و لسعيها متعلقان براضية وراضية خبر ثان لوجوه **(فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ، لَا**

تَسْمَعُ فِيها لاغِيَةً) في جنة خبر ثان لوجوه وعالية نعت لوجوه وجملة لا تسمع إلخ صفة ثانية لجنة ولا نافية وتسمع فعل مضارع مرفوع وفاعله أنت وقرىء بالتاء وفيها متعلقان بتسمع ولاغية مفعول به وهي على معنى النسب أي كلمة ذات لغو أو على إسناد اللغو إليها مجازا (فِيها عَيْنٌ جارِيَةٌ) الجملة نعت ثالث لجنة وفيها خبر مقدّم وعين مبتدأ مؤخر وجارية نعت لعين **(فِيها سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ وَأَكْوابٌ مَوْضُوعَةٌ وَنَمارِقُ مَصْفُوفَةٌ وَزَرابِيُّ مَبْثُوثَةٌ)** الجملة صفة رابعة لجنة وفيها خبر مقدّم وعين مبتدأ مؤخر وجارية نعت لعين وما بعده عطف عليه **(أَفَلا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ)** كلام مستأنف مسوق لتقرير ما مضى من حديث الغاشية والهمزة للاستفهام الإنكاري والفاء للعطف على مقدّر يستحقه المقام والتقدير أينكرون البعث فلا ينظرون، ولا نافية وينظرون فعل مضارع مرفوع وإلى الإبل متعلقان به وكيف اسم استفهام في محل نصب حال وخلقت فعل ماض مبني للمجهول وفاعله مستتر تقديره هي والجملة بدل اشتمال من الإبل. وينظرون تعدّى إلى الإبل بواسطة إلى وتعدى إلى كيف على سبيل التعليق وقد تبدل الجملة وفيها الاستفهام من الاسم الذي قبلها وإن لم يكن فيه استفهام على خلاف في ذلك كقولهم عرفت زيدا أبو من هو والعرب يدخلون إلى على كيف فيقولون إلى كيف يصنع. وكيف سؤال عن حال والعامل فيها خلقت وإذا علق العامل عمّا فيه من الاستفهام لم يبق الاستفهام على حقيقته، وللزمخشري كلام جميل نورده فيما يلي: (أفلا ينظرون إلى الإبل نظر اعتبار كيف خلقت خلقا عجيبا دالّا على تقدير مقدّر شاهدا بتدبير مدبر حيث خلقها للنهوض بالأثقال وجرّها إلى البلاد الشاحطة فجعلها تبرك حتى تحمل عن قرب ويسر ثم تنهض بما حملت وسخّرها منقادة لكل من اقتادها بأزمّتها لا تعاز ضعيفا ولا تمانع صغيرا وبرأها طوال الأعناق لتنوء بالأوقار، وعن بعض الحكماء أنه حدّث عن البعير وبديع خلقه وقد نشأ في بلاد لا إبل بها ففكر ثم قال يوشك أن تكون طوال الأعناق وحين أراد بها أن تكون سفائن البر صبّرها على احتمال العطش حتى أن أظماءها لترتفع إلى العشر فصاعدا وجعلها ترعها كل شيء نابت في البراري والمفاوز مما لا يرعاه سائر البهائم) هذا والإبل اسم جمع لا واحد له من لفظه وإنما واحده بعير وناقة وجمل، وعبارة القاموس: (الإبل بكسرتين وتسكين الباء مؤنث واحد يقع على الجمع ليس بجمع ولا اسم جمع وجمعه آبال وتصغيرها أبيلة والسحاب الذي يحمل ماء المطر) وعلى هذا يصحّ أن يراد بها السحاب لينتظمها الذكر على حسب النظم على أن هذا لا يتفق مع سهولة بيان القرآن و نظمه وإنما أوردها منتظمة مع السماء والأرض والجبال لأن العرب في بواديهم و أوديتهم يألفون رؤيتها جميعا فانتظمها الذكر مع هذه الأشياء **(وَإِلَى السَّماءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ)** كلام منسوق على ما تقدم مماثل له في إعرابه، قال ابن خالويه نقلا عن الزمخشري: (وروي عن هارون الرشيد أنه قرأ: كيف سطحت بالتشديد والقراءة بتخفيفها لاجتماع الكافّة عليها) **(فَذَكِّرْ إِنَّما أَنْتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ)** الفاء الفصيحة أي إن كانوا لا ينظرون إلى هذه الأشياء نظر اعتبار وتدبر وتأمل فذكرهم. وذكر فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت ومفعوله محذوف أي فذكّرهم ولا تلحّ عليهم إذ ليس عليك هداهم، وإنما كافّة ومكفوفة وأنت مبتدأ ومذكّر خبر وجملة أنما أنت تعليلية للأمر بالتذكير ولست ليس واسمها وعليهم متعلقان بمسيطر والباء حرف جر زائد ومسيطر مجرور بالباء لفظا منصوب محلا لأنه خبر ليس **(إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذابَ الْأَكْبَرَ)** إلا أداة استثناء ومن مستثنى على الاستثناء متصل من مفعول فذكر أو من الهاء في عليهم وقيل الاستثناء منقطع وإلا بمعنى لكن ألغي عملها ومن مبتدأ خبره جملة فيعذبه وكلاهما جيد محتمل، وجملة تولى صلة من وكفر عطف على الصلة وجملة إلا من تولى وكفر في محل نصب على الاستثناء المنقطع وهذه جملة تضاف إلى الجمل التي لها محل من الإعراب والفاء رابطة لما في الموصول من معنى الشرط ويعذبه فعل مضارع مرفوع والهاء مفعول به والله فاعل والعذاب مفعول مطلق، ومن الغريب أن ابن خالويه أعربها مفعولا به ثانيا، وصدق ابن هشام عند ما قرر أن ابن خالويه من ضعفاء النحويين، والأكبر نعت للعذاب **(إِنَّ إِلَيْنا إِيابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا حِسابَهُمْ)** الجملة لا محل لها لأنها تعليل للعذاب الأكبر وإن حرف مشبّه بالفعل وإلينا خبر مقدّم لإن وإيابهم اسمها المؤخر وثم حرف عطف للتراخي، وسيأتي سره في باب البلاغة، وما بعده عطف على ما قبله مماثل له في إعرابه.

البلاغة

١- في قوله (لا يسمن ولا يغني من جوع) فن التتميم، وقد تقدم مرارا فقوله ولا يغني من جوع جملة لا يمكن طرحها من الكلام لأنه لما قال لا يسمن ساغ لمتوهم أن يتوهم أن هذا الطعام الذي ليس من جنس طعام البشر انتفت عنه صفة الاسمان ولكن بقيت له صفة الإغناء فجاءت جملة ولا يغني من جوع تتميما للمعنى المراد وهو أن هذا الطعام انتفت عنه صفة إفادة السمن و القوة كما انتفت عنه صفة إماطة الجوع وإزالته، وجعله بعضهم من باب نفي الشيء بإيجابه على حدّ قول امرئ القيس (على لاحب لا يهتدى بمناره) أي أنه لا منار له أصلا وكما تقول ليس لفلان ظل إلا الشمس تريد نفي الظل على التوكيد وليس ببعيد والأول أرصن وأبعد عن التكلّف.

٢- الحذف: تكلمنا في هذا الكتاب كثيرا عن الحذف و سنخصّص هنا لمعة عن حذف المفعول به خاصة لزيادة الفائدة و ذلك بمناسبة قوله تعالى (فذكّر إنما أنت مذكّر) فنقول: يجوز حذف المفعول به لغرض إما لفظي كتناسب الفواصل أي رؤوس الآي و ذلك في نحو قوله تعالى: (ما ودعك ربك وما قلى) والأصل وما قلاك فحذف المفعول ليناسب قوله: (والضحى والليل إذا سجى) وكالإيجاز في نحو قوله تعالى: (فإن لم تفعلوا و لن تفعلوا) والأصل فإن لم تفعلوه ولن تفعلوه أي الإتيان بسورة من مثله وإما معنوي كاحتقاره نحو (كتب الله لأغلبنّ أنا ورسلي) أي لأغلبنّ الكافرين فحذف المفعول زيادة في امتهانه واحتقاره أو لاستهجانه واستقباح التصريح به...

٣- و في قوله (إن إلينا إيابهم ثم إن علينا حسابهم) تقديم الجار والمجرور، والسر فيه التشديد بالوعيد وأن إيابهم ليس إلا إلى الجبار المقتدر على الانتقام وأن حسابهم ليس إلا عليه، وفي العطف بثم للدلالة على التراخي في الرتبة لا في الزمان أي أنه قد يكون مباشرة بعد الإياب ولكن التفاوت بين الموقفين أمر لا تكتنه أهواله ولا يدري أحد مداه ولا يتصوره العقل على الإطلاق ولا يخفى أن الخبر جاء مؤكدا بإن فأتى طلبيا كأنهم، وقد ترددوا، بحاجة إلى تأكيد هذا الأمر الذي أشاحوا عنه ولم يتدبروه.

المصدر: إعراب القرآن وبيانه، محيى الدين درويش، ج١٠، ص: ٤٦٥

لغة الحوار
مع الآخر في الخطاب القرآني

عامر عزيز الأنباري

يكتنز القرآن الكريم بكل ما هو نافعٌ للناس، فهو كتاب هداية وتشريع ومنهل ثَرٌّ يدعو إلى مكارم الأخلاق، وكل هذه السمات إنما وجدت فى كتاب الله المنزل إتماماً للمشروع الإلهي للاستخلاف في الأرض ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[1]، فلم يكن الله ليترك من استخلفه في الأرض بغير نواميس الهداية التي يعد القرآن الكريم أعظمها في استيعاب ما سبقه من شرائع ورسالاتٍ سماويةٍ.

فالقرآن الكريم يمثل المسيرة التكاملية في علاقة البشر مع الله تعالى بالانقياد والخضوع التام لمشيئته، ويتبعها علاقة البشر فيما بينهم بالطريقة التي تجسد هذا

١- سورة البقرة، الآية ٣٠.

الانقياد والخضوع، وكل ما يخرج عن هذا النوع من العلاقة بين البشر فهو مرفوض عند الله تعالى يقول سبحانه: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾[2] فالانقياد والخضوع لمشيئة الله هو المسار الذي يحدده القرآن الكريم لطبيعة العلاقة التي ينبغي أن تكون عليه بين الناس كافة بغض النظر عن أجناسهم وديانتهم، فأولئك الذين تصفهم الآية الكريمة هم ضمن دائرة المجتمع المسلم بالظاهر، ويحلفون بأنهم من المسلمين غير إن الوصف القرآني يضعهم في خندق الانحراف والافتراق، كما يسمح بالعلاقة مع من ليسوا على دين الله ويدعو إلى العدالة في التعامل معهم فيما لو كانوا لم يقترفوا العدوان على المسلمين، فيقول عز وجل: ﴿لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[3]، بل ويحبب لهم العدالة كونه سبحانه عادلاً ويحب القسط والعدل حتى مع الكافر، وهو يدعو إلى الانفتاح على الآخر ضمن النطاق الذي تكون فيه مرضاة الله والانقياد لإرادته، وهو من أجل أن يحقق هذه العلاقة السليمة بين الناس يتخذ من مبدأ الرحمة والدعوة لكسب الآخر بالحسنى معيارين أساسيين، فليس القرآن ونبيه إلا رحمة ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[4] كما أن الدعوة بالحسنى هي السبيل الأمثل لكسب الآخر ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[5] والصفة الشمولية التي يمتاز بها كتاب الله - كونه يمثل رسالة سماوية ذات بعد إنساني- واضحة السمات تتضح في خطابه للمشركين والكافرين وباقي الأديان، وطول الأناة في دعوتهم، فهذا نبي الله نوح عليه السلام في دعوته: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾[6] كما أنه يدعوهم جهاراً لئلا يكون هناك من لم يعلم بدعوته ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا﴾[7]، في محاولة هادفة للإقناع وإلقاء الحجة، وقد لبث فيهم يدعوهم إلى الله قرونا ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾[8]، وفي طبيعة الخطاب القرآني ما يدعو إلى التأمل لما يشتمل عليه من الرحمة والبعد الإنساني والدعوة إلى الله بالحسنى، فعندما يتناول قصة النبي صالح مع قومه يقول: ﴿وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[9]،فمن لطافة ما ورد في هذا النص فيٌ مستهل الآية قوله: (أخا عاد) للتأكيد على العلاقة الاجتماعية والإنسانية التي تربط النبي بقومه فهو يتودد إليهم في دعوته عليه السلام، ويؤكد خوفه عليهم من الإصرار على الكفر ومعصية الله تعالى وهي أدعى للقبول لهم لأنه منهم وأخاهم، ويتكرر هذا النمط في مواطن أخرى، ففي قصة النبي شعيب عليه السلام قوله سبحانه: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾[10]، فيقول (أخاهم شعيبا)، ويؤكد تودده ودعوته لهم بالحسنى وخوفه عليهم من غضب الله تعالى، فمبدأ الحوار مع الآخر وبناء علاقة ضمن إطار الانقياد إلى مشيئة الله مترسخ في الخطاب القرآني ولا ضير فيه ما لم يكن فيه مساس بالشريعة والثوابت الدينية، وفي نطاق ذلك قد وضع النبي محمد صلى الله عليه وآله عند دخوله (يثرب) قواعد التعايش السلمي وحسن الجوار واحترام الآخر، ولم يمنع المسلمين من التعامل معهم اقتصادياً ما لم يكن ربوياً، ومن المؤكد أن هذا التعامل الإنساني كان له أثره البالغ في دخول الكثيرين من غير المسلمين إلى الإسلام،ولقد كان أئمة أهل البيت عليهم السلام في خلقهم وسلوكياتهم يجسدون تعاليم القرآن الكريم ويدعون أتباعهم إلى الانفتاح على الآخر وإن كان يخالفهم في الرأي والمعتقد، فيذكر أنه: (كان في المدينة رجل من أولاد بعض الصحابة يؤذي أبا الحسن موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام ويسبّه إذا رآه، ويشتم عليا، فقال له بعض حاشيته يوما: دعنا نقتل هذا الفاجر فنهاهم عن ذلك أشدّ النهي، وزجرهم، وسأل عنه فذكر أنّه يزرع بناحية من نواحي المدينة، فركب إليه فوجده في مزرعة له، فدخل المزرعة بحماره ، فصاح به لا توطئ زرعنا ، فوطأه عليه السلام بالحمار حتى وصل إليه، ونزل وجلس عنده، وباسطه وضاحكه، وقال له: كم غرمت على زرعك هذا؟ قال: مائة دينار. قال: فكم ترجو أن تصيب ؟ قال: لست أعلم الغيب. قال له: إنّما قلت كم ترجو أن يجيئك فيه. قال: أرجو أن يجيء مائتا دينار. قال: فأخرج له أبو الحسن صرّة فيها ثلاثمائة دينار وقال: هذا زرعك على حاله، والله يرزقك فيه ما ترجو. قال: فقام الرجل فقبّل رأسه، وسأله أن يصفح عن فارطه، فتبسم إليه أبو الحسن وانصرف. قال: وراح إلى المسجد، فوجد الرجل جالسا، فلما نظر إليه، قال: الله أعلم حيث يجعل رسالته)[11].

يتضح مما تقدم أن الأنماط السلوكية التي يحددها القرآن الكريم تدعو إلى الحوار والتعايش السلمي، والابتعاد عن الصراع والعدوان إلا إذا كان هنالك من لم يؤمن شره وضره بالإسلام والمسلمين، فالإنسان أخو الإنسان في المنظور الإسلامي، يقول مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في عهده إلى واليه على مصر مالك الأشتر النخعي رضي الله عنه: (الناس صنفان إما أخ لك في الدين أو نظيرٌ لك في الخلق)[12]، وإن ما نشهده اليوم من انتهاك لحقوق الإنسان وهدر لدماء الأبرياء واستباحة لأموالهم وأعراضهم من ذوي الأفكار الظلامية والتكفير ليست من الإسلام في شيء وإنما هي عدوانٌ على الإسلام باسم الإسلام وعدوانٌ على القرآن والسنة باسم القرآن والسنة، ولنا فيما سار عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وآل بيته الأطهار وعلماؤنا الأعلام أسوة حسنة.

٢- سورة التوبة، الآية ٥٦.
٣- سورة الممتحنة، الآية ٨.
٤- سورة الأنبياء، الآية ١٠٧.
٥- سورة النحل، الآية ١٢٥.
٦- سورة نوح، الآية ٥.
٧- سورة نوح، الآية ٨.
٨- سورة العنكبوت، الآية ١٤.
٩- سورة الأحقاف، الآية ٢١.
١٠- سورة هود، الآية ٨٤.
١١- أخلاق أهل البيت، السيد محمد مهدي الصدر، ص٣١.
١٢- نهج البلاغة، الشريف الرضي ج ص

دار العَاجِلة

• ميادة قهرمان

يقاس يقين المرء وفق المعيار الديني بحصيلة عمله الدنيوي المشروط بطاعة ربه وابتغاء مرضاته، وبمقدار ما يدخره من زاد للآخرة، فهناك صنف من البشر يجعل أكبر سهمه وجهده في دار العاجلة هو الطمع والسعي لها أكثر من اللازم، متناسياً أنها فانية يمكن أن يخطفها بمرور الكرام في لحظات معدودة لأجل معيّن قدّره الباري.

ومن المعلوم أن المتعلقات الدنيوية الزائلة كثيرة، منها حب الأهل والعشيرة والمادة وغيرها، وأن أمر الانشغال بها بشكل غير متوازن أمر لا يحبذه الدين، إذ يضع المرء نفسه موضع غفلة عن العمل للآخرة، قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾[1]، فالمرء الطامع بجموح في ملذات دار الفناء يجعل نفسه أسير ذاته وأهوائه، وهذا ما سيدخله في دوامة الصراع الذاتي مع نفسه ومع الآخرين من حوله لمناقشتهم في دائرة تحصيل تلك المتعلقات، فكما هو متعارف عليه وفق النص القرآني الصريح أن لكل امرئ نصيبًا في هذه الدار ولا بد من الاعتدال في الطلب وهو ما حدث به الله عز وجل في قوله تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾[2]، وكما أن الطلب لا بد أن يكون خاضعا لضوابط العمل الصالح الذي يدعو إليه الباري عز وجل عبر الفضل الأكبر وهو قرنه بالسعي الحلال، مع ترك الحرام الذي نهانا عنه فهو الرازق لعباده في جميع الأحوال، إذ جاءت عز من قائل: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾[3]، ولا خلاف أن سعي المرء في دار الدنيا يختلف سعي أهل الغفلة من مريديها إذ يقول عز وجل: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا﴾[4]، وقد جاء في تفسير هذه الآية الكريمة ما روي عن ابن عباس، أن النبي ﷺ، قال: معنى الآية من كان يريد ثواب الدنيا بعمله الذي افترضه الله عليه، لا يريد به وجه الله والدار الآخرة، عجل له فيها ما يشاء الله من عرض الدنيا، وليس له ثواب في الآخرة، وذلك أن الله سبحانه وتعالى يزلفه ذلك ليستعين به على الطاعة، فيستعمله في معصية الله، فيعاقبه الله عليه)[5]، وكما إن القاعدة الذهبية التي أوصى بها أئمتنا الأبرار ﷺ ومنهم المرتضى ﷺ في معبر الدنيا الفانية تعني بضرورة وضع هدف الملذات الموت نصب الأعين في كل لحظة حياتية إذ قال رسول الله ﷺ: (اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً)[6]، لأنها سبيل سعادة المرء من الذي لا حياد له عنها كما قال عز وجل: ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾[7].

١- سورة التوبة، الآية ٢٤.
٢- سورة القصص، الآية ٧٧.
٣- سورة الجمعة، الآية ١١.
٤- سورة الإسراء، الآية ١٨.
٥- تفسير الصافي، الفيض الكاشاني، ج٣ ص١٥٢.
٦- ميزان الحكمة، محمد الريشهري، ج١، ص٣٧.
٧- سورة مريم، الآية ٧٦.

القرآن حياة القلوب

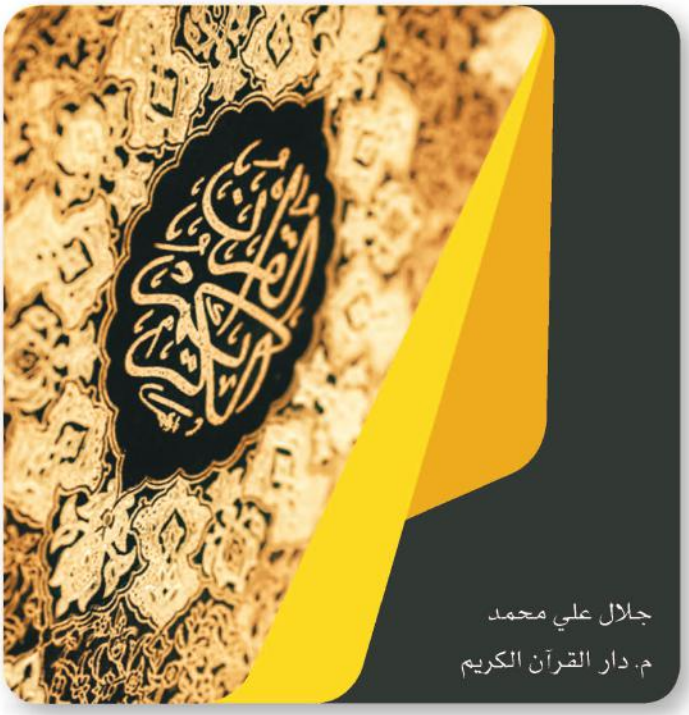

أكد القرآن الكريم أنّ الرسول الأكرم محمد المصطفى ﷺ قد بعثه الله تعالى بعد مدة انقطاع مخاطباً اليهود والنصارى قائلا: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ﴾[1]، مطالبا إياهم وسائر الناس بالتسليم والانقياد لرسالة السماء الخاتمة إذ قال عز وجل: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[2]، فكان معيار الفوز والخسارة هو ابتغاء دين الإسلام الذي جاء به الرسول الأكرم ﷺ لهداية البشرية جمعاء، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾[3].. فهو ﷺ مُرسَل إلى الناس كافة من دون تمييز بين العِرق واللون، وذلك بعد أن حرّف الناس الأديان السابقة على وفق مصالحهم الدنيوية وانتشار البدع وعبادة الأصنام والكواكب وغيرها، فقام ﷺ صادعاً بأمر الله داعياً إلى الإيمان به وحده لا شريك له، آمراً بعبادته دون غيره، كما بعثه للقضاء على ثقافة الجهوية والفئوية، مؤكداً أن التقوى هي معيار المفاضلة بين الناس، فكان المعلم الأول والقائد الأعظم لتربية المجتمعات الإنسانية على وفق ما وضعه ﷺ من سنن وتعاليم لعباداتهم ومعاملاتهم وكل ما يرتبط مع الله وينظم العلاقة مع الناس، ومما يؤسف له أنّ هناك أبواقاً تلوّح بأنّ دين الإسلام ما قام إلّا بالسيف والدم كما يصوره اليوم مَن يريد الإساءة إلى الإسلام هنا وهناك لإيهام المجتمع الدولي بأن الإسلام دين يعتمد الترهيب والتخويف، فأين هم من قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[5].. هذا ما جاء به القرآن الكريم وهو معجزة الرسول الخالدة، فيه ما فيه من الشرائع والأخلاق وأسس التربية حتى صار منهاجًا متكاملًا فيه حياة ورُقِيّ.. لذلك أوصانا النبي ﷺ بقوله: (لا تغفل عن قراءة القرآن، فإنّ القرآن يُحيي القلوب، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغْي)[6].. فتأمل.

١- سورة المائدة، الآية ١٩.
٢- سورة ال عمران، الآية ٨٥.
٣- سورة سبأ ، الآية٢٨.
٤- سورة النحل ، الآية ١٢٥.
٥- سورة البقرة ، الآية ٢٥٦.
٦- ميزان الحكمة ، محمد الريشهري ، ٣/ ٢٥٢٥.

تأملات قرآنية

- ١ -

روي عن رسول الله ﷺ:
((إنَّ هذهِ القلوبَ لتصدأ كما يصدأُ الحديدُ، قيل: يا رسولَ اللهِ فما جلاؤها؟ قال: تلاوةُ القرآن)).

تأملات في الحديث

١- في الحديث دلالة واضحة على أهمية التلاوة في تطهير الإنسان من الذنوب التي هي مصدر الغشاوة على القلب.

٢- النبي قد شبَّه بين القلب والحديد من جهة التأثُّر بأمور خارجية مثل الصدأ، فالحديد لا يصدأ إنْ تم تنظيفه ومعاهدته ومراعاته دائمًا، فكذلك القلب يمكن المحافظة عليه من الغفلة والقسوة وغيرهما من الأمراض بعرض القرآن وتعاليمه عليه.

٣- إنَّ في الحديث دعوة للحفاظ على القلب، فالقلب يجب أنْ يكون نقيًّا من الأمراض التي تحجبه عن أنوار الله تعالى، والقرآن هو دواء لكُلِّ داء.

٤- إنَّ القلب هو الذي يكون مصدر إشعاع للجوارح، ولغيره من الناس، ولا يكون سليمًا ما لم يتفكَّر ويتأمل في أمر الله وما يريده منه، والتفكر في أخبار الماضين.

فعلينا أنْ نتعاهد القرآن للحفاظ على قلوبنا من صدأ الذنوب، وأنْ تكون القراءة غاية العمل بمضامين تعاليم القرآن الكريم.

من قصص نبي الله

داود عليه السلام

قصة الملك نروى سلم

روي عن الإمام الصادق جعفر بن محمد عليه السلام- ((إن داود عليه السلام، خرج ذات يوم يقرأ الزبور، وكان إذا قرأ الزبور لا يبقى جبل ولا حجر ولا طائر ولا سبع إلا جاوبه، فما زال يمر حتى انتهى إلى جبل، فإذا على ذلك الجبل نبي عابد يقال له حزقيل، فلما سمع دوي الجبال وأصوات السباع والطير علم أنه داود عليه السلام، فقال داود- يا حزقيل أتأذن لي فأصعد إليك ؟ قال- لا، فبكى داود عليه السلام، فأوحى الله جل جلاله إليه- يا حزقيل لا تغير داود وسلني العافية، فقام حزقيل فأخذ بيد داود فرفعه إليه، فقال داود- يا حزقيل هل هممت بخطيئة قط؟ قال- لا، قال- فهل دخلك العجب مما أنت فيه من عبادة الله عز وجل؟ قال- لا، قال- فهل ركنت إلى الدنيا فأحببت أن تأخذ من شهواتها ولذاتها؟ قال- على ربها عرض بقلبي، قال- فماذا تصنع إذا كان ذلك؟ قال- أدخل هذا الشعب فأعتبر بما فيه، قال- فدخل داود النبي عليه السلام، الشعب فإذا سرير من حديد عليه جمجمة بالية، وعظام فانية، وإذا لوح من حديد فيه كتابة فقرأها داود عليه السلام، فإذا هي- أنا نروى سلم ملكت ألف سنة، وبنيت ألف مدينة، وافتضضت ألف بكر، فكان آخر أمري أن صار التراب فراشي، والحجارة وسادتي، والديدان والحيات جيراني، فمن رآني فلا يغتر بالدنيا))[1].

نستفيد من القصة الآتي-

١- إن أئمة أهل البيت عليهم السلام، ضرهم علوم الأولين والآخرين، وأنهم ورثوها من رسول الله صلى الله عليه وآله، وهذا ما تحكيه زيارة وارث وتبين مصاديقه.

٢- إنَّ الله تعالى يبعث أكثر من نبي في وقت واحد، ومن مصاديقه أيضا، وجود نبي الله لوط عليه السلام مع نبي الله إبراهيم عليه السلام، فمنهم من يكون نبيًا، ومنهم نبيًا رسولا.

٣- حذر وإيقاظ الأنبياء من الوقوع في ترك الأولى، والابتعاد عن الشبهات.

٤- إنَّ نروى سلم الملك، قدم النصيحة إلى عامة العباد، وأنه قد نال الملذات وأسلفا

[1] بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج١٤، ص٢٩.

الشيخ طه العبيدي

الشهوات وحصر الملذات، وفي الختام أن مصيره إلى الموت، والموت لا بد منه، فعلى العباد الاعتبار بما كان فيه، وما أصبح فيه، ولن الدنيا دار غرور زائلة.

قصته مع الشاب

ورد عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام قال- (بينا داود على نبينا وآله وعليه السلام جالس وعنده شاب ذو الهيئة يكثر الجلوس عنده ويطيل الصمت، إذ أتاه ملك الموت فسلم عليه وأحدَّ ملك الموت النظر إلى الشاب، فقال داود على نبينا وآله وعليه السلام- نظرت إلى هذا؟ فقال- نعم إني أمرت بقبض روحه إلى سبعة أيام في هذا الموضع، فرحمه داود فقال- يا شاب هل لك امرأة؟ قال- لا وما تزوجت قط قال داود- فأت فلانا - رجلا كان عظيم القدر في بني إسرائيل - فقل له- إن داود يأمرك أن تزوجني ابنتك وتدخلها الليلة وخذ من النفقة ما تحتاج إليه وكن عندها، فإذا مضت سبعة أيام فوافني في هذا الموضع فمضى الشاب برسالة داود على نبينا وآله وعليه السلام فزوجه الرجل ابنته وأدخلوها عليه وأقام عندها سبعة أيام، ثم وافى داود يوم الثامن فقال له داود- يا شاب كيف رأيت ما كنت فيه؟ قال- ما كنت في نعمة ولا سرور قط أعظم مما كنت فيه، قال داود - اجلس فجلس وداود ينتظر أن يقبض روحه فلما طال قال- انصرف إلى منزلك فكن مع أهلك فإذا كان يوم الثامن فوافني ههنا، فمضى الشاب، ثم وافاه يوم الثامن وجلس عنده، ثم انصرف أسبوعا آخر ثم أتاه وجلس فجاء ملك الموت داود، فقال داود صلوات الله عليه- ألست حدثتني بأنك أمرت بقبض روح هذا الشاب إلى سبعة أيام؟ قال- بلى، فقال- فر مضت ثمانية وثمانية وثمانية؟ قال- يا داود إن الله تعالى رحمه برحمتك له فأخر في أجله ثلاثين سنة)[2].

يمكن أن نستفيد من هذه القصة الأمور الآتية-

١- إنَّ الموت يأتي الناس في أعمار متفاوتة، ولا يهمل الشاب أو يميز من الكهل أو الهرم، فإنَّ للجميع آجالاً، وفيها حكمة الملوك في سبل المتقين وعدم التهاون في أحكام شرعة المرسلين عليهم السلام، وعلى الناس أن يبقوا مستعدين للموت فإنه صائر إليهم، وإنَّ سهم المنية يصيبهم مهما طال الوقت، فإن لم يكن اليوم فغدًا.

٢- إنَّ ملك الموت يعلم بآجال العباد، ولا يقبضها إلا بإذن الله تعالى.

٣- إن زيادة عمر الشاب من أحد مصاديق الآية الكريمة التي تقول- ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾[3].

٤- إنَّ الله أرحم الراحمين، ولا أرحم منه في مخلوقاته، ولن كان نبيا، ولإنَّ رحمته وسعت كل شيء، ويطمع فيها كل خلقه، الطائع والعاصي، بل حتى إبليس طمع فيها، فقد ورد في خبر نزول الآية- ﴿ورحمتي وسعت كل شيء﴾[4] مر إبليس صنفه، فقال- أنا من الشيء. فنزلت (فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون)[5].

قصة المرأة الفقيرة

دخلت امرأة على داود النبي عليه السلام، فقالت- يا نبيَّ الله ربك عادل أم ظالم فقال عليه السلام- ويحك هو العدل الذي لا يجور ثم قال لها- ما قصتك قالت - إني امرأة أرملة وعندي ثلاث بنات وإني أقوم عليهنَّ من غزل يدي فلما كان أمس شريت غزلي في خرقة حمراء وأردت أن أذهب به إلى السوق وأبيعه فأشتري الطعام للأطفال فإذا بطاير قد انقضَّ علي وأخذ الخرقة والغزل وطار، وبقيت حزينة مالي شيء أبلغ به أطفالي.

فبينما المرأة مع داود عليه السلام، في الكلام فإذا بطارق يطرق الباب فأذن داود عليه السلام، بالدخول وإذا هم عشرة من التجار ومع كل واحد مائة دينار فقالوا - يا نبيَّ الله بمستحقها فقال عليه السلام لهم وما سبب إخراجكم هذا المال قالوا- كنا في مركب فهاجت علينا الريح فغاب المركب وأشرفنا على الغرق وإذا نحن بطاير قد ألقى إلينا خرقة حمراء وفيها غزل فنذرنا به صيب المركب فانسدَّ وتذرنا أن يصدق كل واحد منا مائة دينار من ماله، وهذا المال بين يدك تصدق به على من أردت، فالتفت نبي الله داود عليه السلام، إلى المرأة وقال- ربك يتجر لك في البحر وتجعلينه ظالما ثم أعطاها الألف دينار وقال- اذهبي بها وأنفقيها على أطفالك والله أعلم بحالك[6].

في القصة من العبر الكثيرة منها-

١- إنَّ الله تعالى عادل، لا يجور ولا يظلم أحدًا أبدًا.

٢- إن الأنبياء عليهم السلام أبواب الله تعالى، كذلك الأئمة الهداة عليهم السلام، فهم ملجأ العباد في العسر واليسر. وهذه المرأة الفقيرة التجأت إلى نبي الله لينظر في أمرها وأمر أطفالها اليتامى.

٣- أنْ لا يكون العبد سريع اليأس والقنوط، ناسيًا رحمة الله الواسعة التي وسعت كل شيء، وأنه خلق الخلق ولا ينسى خلقه.

٤- إنَّ الله تعالى يعلم مصالح العباد ومحيط بكل أمورهم، وإذا كانت المرأة تظن لأن غزلها تجني به رزق يوم أو يومين، فإن الله تعالى يعلم كم هي تحتاج لتنفقه على بناتها الثلاث وفي مرة تتجاوز بها محنتها حتى باع الله لها غزلها بألف دينار.

٢- المصدر السابق، ج٤ ص١١٢.

٣- سورة الرعد، الآية ٣٩.

٤- سورة الأعراف، الآية ١٥٦.

٥- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي، ج ٣ ص ١٢.

٦- منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، عبد الله الهاشمي الخوئي، ج٦ ص١٨.

دراسة المبادئ القرآنية للهجرة

للكاتبين: مجيد محب زادة - راضية طاهري
طالب ماجستير في قسم الفلسفة والحكمة الإسلامية في جامعة آزاد - مدينة فسا

إنّ أحد مفاهيم القرآن المحضة هو مفهوم الهجرة، فإنها ألمع البرامج التي أقرّها الإسلام وجعلها بداية موسم جديد لتأريخه، أوجب القرآن الهجرة لدوام الثقافة والقيم الإسلامية الضرورية، ويعتبر المسلمين الذين امتنعوا عن الهجرة بأنهم في النار، ومن مبادئ الهجرة في القرآن الكريم:

ترجمة: حسين محيي الطائي

١. الهجرة من أجل الحفاظ على العبادة والتوحيد

عندما بدأ النبي الأكرم ﷺ دعوته إلى الإسلام، دعا الناس إلى التوحيد، فالذين آمنوا به كانوا يتعرضون إلى تعذيب شديد من قبل كفار مكة، حيث لم يكن في وسعهم أداء الشعائر الإلهية، فأمروا بالهجرة من تلك الديار، كما عبّر عنه القرآن: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾[1]. نعم، كان المسلمون يتعرضون إلى التعذيب والتضييق الشديدين من قبل كفار مكة، ولم تكن لهم الحرية لعبادة الله (جل وعلا)، فعزم بعضهم على التخلص من هذه الضغوطات على ترك قريش وأرض مكة وترك التجارة وأولادهم وأقرباءهم لنيل جو هادئ، ولكنهم كانوا في حيرة من مسألة اختيار المكان المنشود، لأن الحجاز بأكملها كانت تعبد الأصنام، فتوجهوا إلى النبي الأكرم ﷺ وطلبوا التكليف، فأخبرهم: (لَو خَرَجْتُم إلى أرضِ الحَبَشة، فَإنَّ بِها مَليكا لا يُظلَمُ عِندَهُ أحَدٌ وَهِيَ أرضُ صِدقٍ، حتى يَجعَلَ اللّه لَكم فَرَجًا مما أنتُم فيه)[2]. فسرعان ما شدّ من تمكن رحاله للسفر دون علم مشركي مكة، فذهب بعضهم مشيًا في الليل وآخرون ركبانًا نحو جدة، وكان مجموع عددهم عشرة أو خمسة عشر شخصًا منهم أربع نساء من المسلمات[3].

٢. الهجرة من أجل نيل حقيقة الإيمان

من وجهة نظر القرآن الكريم إنّ المؤمنين الحقيقيين هم الذين آمنوا وجاهدوا، فالهجرة والجهاد عاملان رئيسان في نصرة الإسلام أمام الأعداء الأقوياء، فإن لم تكن الهجرة موجودة لما تمكّن الإسلام من النمو في ذلك الجو المخفق، وإن لم يكن الجهاد موجودًا لما توسّع الإسلام وتقدم، يقول الله (جل وعلا) في قرآنه الكريم: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ

١- سورة العنكبوت، الآية ٥٦.

٢- سيرة ابن هشام، ج١، ص١٩٩ ومقتطفات من حياة نبي الإسلام الشيخ جعفر السبحاني، ج١، ص٣١.

٣- مقتطفات من حياة نبي الإسلام، الشيخ جعفر السبحاني، ج ١، ص ٣١٠.

الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾[٤]، بلى، لقد أخرجت الهجرة الإسلام من حدود ضيقة نحو العالم الرحب؛ وقد علّم الجهاد المسلمين الاعتماد على القدرة لأنهم إن لم يفعلوا ذلك فقد لا يعيرهم الأعداء الذين لا يثقون بالمنطق والتسوية أية قيمة، فالجهاد والهجرة متلازمان.

يقول آية الله الشيخ ناصر مكارم في تفسيره (الأمثل) حول هذا الموضوع: (لا ينفع الآن لكسر العقبات المختلفة التي وضعها الأعداء من كل جهة ضد الإسلام غير إحياء الأصلين (الهجرة والجهاد)، فالهجرة توصل صوتهم إلى العالم وتجذب نحوهم القلوب العامرة والقوى البناءة والشعوب المتعطشة للعدالة وتمنحهم القوة للجهاد والحركة ليقاوموا المعارضين العنيدين)[٥].

فلتقدم أهداف الإسلام يجب اتخاذ الهجرة منهجًا للحياة، لإيصال نداء المطالبة بالحق لأسماع طالبي العدالة.

٣. الهجرة من أجل إعلان ونشر ثقافة الإسلام

عندما تعرض الإسلام حين نشوئه إلى إيذاء وتعذيب المسلمين من قبل المشركين، أبلغهم النبي الأكرم ﷺ بأمر الهجرة، واقترح عليهم بالتوجه إلى الحبشة، وما أنْ علمت قريش بحرية المسلمين حتى اشتعل فيهم لهيب الحقد، فأرسلوا ممثليهما إلى بلاط ملك الحبشة مصطحبين معهما الهدايا والنفائس، ليقنعا الملك بإعادة المسلمين إليهم. فالتقى الجمعان (المشركان والزعماء من القساوسة والبطارقة) ومضيا يوغران صدور القساوسة والأساقفة ضد المسلمين المهاجرين ويستنجدان بهم لحمل النجاشي على إخراجهم من بلاده دون علمهم وكان ممثلا المشركين قد أقنعا البطارقة - وهم قواد الجيش - واتفقا معهم على أن يقنعوا الملك بتسليم هؤلاء المهاجرين إلى قومهم ولا يكلمهم فإن قومهم أعلم بهم وأعلم بما عابوا عليهم)[٦].

فتحدّد يوم اللقاء مع النجاشي وفي مجلسه قام ممثلا مشركي مكة بذمّ المهاجرين، ولكن قال مليك الحبشة الحكيم العادل إنّ عليه التأكد من وضعهم، فأرسل مأمور البلاط الخاص وراء المسلمين المهاجرين وأحضروهم إلى البلاط دون آي اطلاع مسبق، وكان جعفر بن أبي طالب ﷺ الناطق عن هذه المجموعة، وما لبث النجاشي أن سأل المهاجرين عن طبيعة الدين الذي دفعهم إلى مفارقة قومهم، فتقدم جعفر بن أبي طالب ﷺ، قائلا: (أيها الملك كنا قومًا أهل جاهلية نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئًا، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام، وذكر له بقية كل الأحكام)[٧].

فتلا جعفر بن أبي طالب رسالة الإسلام النورانية على مسامع من في بلاط النجاشي، وتأثر بها النجاشي ومن معه حتى اغرورقت عيونهم جميعًا بالدموع، فطلب منه النجاشي أن يقرأ عليه شيئًا مما جاء به الرسول ﷺ عن الله تعالى، فاختار جعفر آياتٍ مناسبة من بداية سورة مريم وأخبرى يتلو عليه بكل خشوع فبكى النجاشي حتى اخضلت لحيته وبكت أساقفته حتى اخضلت مصاحفهم، فسكت الجمع واشتد الهمس. وقال النجاشي: إن هذا والذي جاء به عيسى ﷺ ليخرج من مشكاة واحدة، انطلقا فلا والله لا أسلمهم إليكما أبدًا.

جعلت هجرة المسلمين إلى الحبشة وأسلوبهم وكلامهم بالأخص جعفر بن أبي طالب ﷺ من النجاشي مسلمًا، فالمصادر قد أيّدت إسلام النجاشي وتظهر أن النجاشي مات قبل فتح مكة وقد صلى عليه النبي الأكرم ﷺ من المدينة المنورة.

٤. الهجرة من أجل الابتعاد عن الشرك وأنواع المعاصي

إن أحد مبادئ الهجرة في القرآن هو من أجل الابتعاد عن الشرك وأنواع المعاصي، فيقول النبي الأكرم ﷺ: (إن أفضل الهجرة ترك الشر والابتعاد عنه)[٨]. ذكر القرآن الكريم عن هذا النوع من الهجرة: ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾[٩]. وذكر في تفسير الميزان (إن القصد من الرجز المذكور في الآية هو ترك الأصنام)[١٠] وجاء في تفسير منهج الصادقين (إن الرجز بالكسر والضم يعني العذاب والمراد منه هنا هو ترك الشيء الذي يؤدي إلى الإثم منها عبادة الأوثان وغيرها من أنواع المعاصي، والمطلوب هنا الثبات في تركه، لأن النبي الأكرم ﷺ كان معصومًا عن الإثم)[١١]. لذا فإن أحد مبادئ الهجرة في القرآن هو الهَجر والابتعاد عن الإثم، ففي رواية رويت عن النبي الأكرم ﷺ قال: (أقِمِ الصَّلاة وَآدِ الزَّكاة، واهجُرِ السُّوءَ، واسكن مِن أرضِ قَومِكَ حَيثُ شئتَ تكن مهاجرًا)[١٢]. إذن الهجرة لا تعني التنقل الجغرافي من مكان لآخر وترك المكان السابق، بل إن الهجرة تعني الابتعاد عن المحيط غير المناسب الذي يعني الابتعاد عن الذنب، قال النبي الأكرم ﷺ: (أفضَلُ الهِجرة أن تَهجُرَ السُّوءَ وفي رواية: أشرَفُ الهِجرَة أن تَهجُرَ السَّيِّئاتِ)[١٣].

كما قال الإمام علي بن أبي طالب ﷺ: (ويقول الرَّجُل هاجرت، ولم يهاجر إنما المهاجرون الذين يهجرون السيئات ولم يأتوا بها).

٤- سورة الأنفال، الآية ٧٤.
٥- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي، ج ٧، ص ٢٦١.
٦- مقتطفات من حياة نبي الإسلام، الشيخ جعفر السبحاني، ج ١، ص ٣١٤.
٧- سيرة ابن هشام، ج ١، ص ٢٠٨.
٨- ميزان الحكمة، محمد الريشهري، ج ١٣، ص ٤ - ٦٦.
٩- سورة المدثر، الآية ٥
١٠- الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي، ج ٢٠، ص ٢٦٩.
١١- منهج الصادقين، الكاشاني، ج ١٠، ص ٦١
١٢- ميزان الحكمة، محمد الريشهري، ج ١٣، ص ٦٥ - ٦٦.
١٣- ميزان الحكمة، محمد الريشهري، ج ١٣، ص ٤ - ٦٦.

الجوادين
قناة الجوادين

كن قريباً ...
من حضرة موسى والجواد عليهما السلام

بالاشتراك معنا عبر مواقع التواصل الاجتماعي

إذاعة الجوادين 89.5FM

قناة الجوادين
AljawadainTv

الموقع الرسمي
www.aljawadain.org